جامعة الأزهر
كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية
كلية معتمدة من الهيئة القومية لضمان جودة التعليم والاعتماد

القيم الأخلاقية في ضوء العلاقة التفاعلية بين الإنسان والكون

عرض ودراسة

إعداد

د. مصطفى عبد الكريم إبراهيم

مدرس الدعوة والثقافة الإسلامية ـ كلية أصول الدين والدعوة فرع جامعة الأزهر بالزقازيق

مجلة كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية العدد الثالث والأربعون، لعام ١٤٤٥هـ ـ ديسمبر ٢٠٢٤م والمودعة بدار الكتب تحت رقم ٢٠٢٤/٦١٥٧ والترقيم الدولي الطباعي ٢٩٧٤-٤٦٦٠ I.S.S.N و ٢٩٧٤-٤٦٧٩ The Online ISSN

القيم الأخلاقية في ضوء العلاقة التفاعلية بين الإنسان والكون عرض ودراسة

مصطفى عبد الكريم إبراهيم
قسم الدعوة والثقافة الإسلامية ـ كلية أصول الدين والدعوة فرع جامعة الأزهر بالزقازيق ـ مصر.
الإيميل الجامعي:MostafaAbdel.team@azhar.edu.eg

ملخص البحث :ـ

يهدف هذا البحث نحو بيان تاريخ التقعيد النظري للعلاقة التفاعلية بين الإنسان والكون على مستوى كل من الفكر الغربي والإسلامي، مع بيان اختلاف المشرب بينهما في تأسيس هذه العلاقة، ودورها في تأسيس مناهج المعرفة الإنسانية، فالفكر الغربي كان مشربه الفلسفة المادية، بينما كان مشرب الفكر الإسلامي الوحي الإلهي، وأنه لا شك مع اختلاف المنهج في اكتساب المعرفة يختلف المنهج في تأسيس الفكر القيمي الأخلاقي، ومن هنا أخذ الفكر الأخلاقي الغربي يغلب عليه الاتصاف بطابع الفكر المادي النفعي، وهو الأمر الذي ظهرت تداعياته السلبية، بل والخطيرة كذلك على الحياة الإنسانية والاجتماعية والبيئية في الواقع المعاصر على مستوى عالمي كما هو موثق على المستوى الأوروبي والعربي، وذلك على النحو الذي أكد الحقيقة القرآنية الواردة في قول الله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [الروم:٤١].

هذا في الوقت الذي تحتفظ به القيم الأخلاقية الإسلامية بالطابع الإنساني والحضاري، - وهو ما يستهدف البحث بيانه - ؛ لأنها قيمٌ نابعة من الإيمان بالله تعالى ومصادر وحيه (القرآن والسنَّة)؛ حيث تقوم العلاقة التفاعلية بين الإنسان والكون في جوهرها الإسلامي على أساس من القيم العقدية التي تؤكد وجود العناية الإلهية بالكون والإنسان، ليأتي في عقب إدراك هذه الحقيقة الإيمانية خلقُ إنسان إيجابي ومتوافقٍ مع

نفسه ومجتمعه والبيئة من حوله؛ إذ إن العلاقة متشابكة بين الإنسان والقيم والكون، والرابط الأعلى الحاكم لهذه العلاقة هو الإيمان بالله تعالى الذي بيده (الخير)، لقوله تعالى:﴿بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [آل عمران:٢٦]، وكان من أهم نتائج البحث:

١. أن علاقة الإنسان بالكون تقوم على الاهتمام بدراسته من الناحية الكيفية وإدراك الغاية من خلقه؛ إذ بإدراك الاثنين معاً يَسلمُ عند الإنسان جانباه (العقدي والأخلاقي).
٢. القيم الأخلاقية الإسلامية تنزع بالإنسان نحو التكامل الوجودي والحضاري مع كل شيء في الطبيعة، بينما تنزع القيم الأخلاقية النفعية الغربية بالإنسان نحو انتقاء السلوك الذي يُدِرُ له نفعاً مع غض الطرف عما يترتب عليه من مفاسد وأضرار بالإنسان والبيئة.

الكلمات المفتاحية: القيم الأخلاقية . التفاعلية . الإنسان . الكون.

Moral Values in Light of the Interactive Relationship Between Humans and the Universe: Presentation and Study

Mustafa Abdelkarim Ibrahim
Department of Dawah and Islamic Culture - Faculty of Fundamentals of Religion and Dawah, Al-Azhar University Branch in Zagazig. Egypt.
Email : MostafaAbdel.team@azhar.edu.eg

Abstract:

This research aims to clarify the historical foundation of the theoretical relationship between humans and the universe at both the Western and Islamic levels, highlighting the differences in their approaches to establishing this relationship and its role in the formation of human knowledge methodologies. The Western thought is rooted in material philosophy, while Islamic thought is based on divine revelation. There is no doubt that with differing approaches to acquiring knowledge, the methodology for establishing moral values and ethics also varies. Consequently, Western ethical thought tends to reflect the characteristics of materialistic and utilitarian thinking, which has led to negative and even dangerous repercussions on human, social, and environmental life in the contemporary world, as documented in both European and Arab contexts. This aligns with the Quranic truth stated in the verse: "Corruption has appeared throughout the land and sea by [reason of] what the hands of people have earned, so He may let them taste part of [the consequence of] what they have done that perhaps they will return [to righteousness]" (Surah Ar-Rum: ٤١).

This is at a time when Islamic moral values— as the research aims to demonstrate — retain their human and civiliza
tional character; as they are values derived from faith in God Almighty and the sources of His revelation (the Quran and the Sunnah); where the interactive relationship between man and the universe, in its Islamic essence, is based on doctrinal values that affirm the existence of divine care for the universe and humanity.

Following the realization of this faith-based truth is the creation of a positive human being who is in harmony with himself, his society, and the environment around him. The relationship is intertwined between man, values, and the universe, and the supreme link governing this relationship is faith in God Almighty, who holds (goodness) in His hands, as He says: "In Your hands is goodness; indeed, You are over all things competent" (Al-Imran: ٢٦). One of the most important results of the research was:

The main findings of the research were:

١- The relationship between humans and the universe is based on the interest in studying it qualitatively and understanding the purpose of their creation; by comprehending both aspects, a person can secure their (doctrinal and moral) sides.

٢- Islamic moral values drive humans towards existential and civilizational integration with everything in nature, whereas Western utilitarian moral values lead individuals to select behaviors that provide them with benefits while disregarding the resulting corruption and harm to humanity and the environment.

Keywords: moral values - interactive - human – universe .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، نحمده حمد الشاكرين، ونستغفره استغفار التائبين، والصلاة والسلام علي أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلي آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه وسار على نهجه إلى يوم الدين.

وبعـــــــد:

فإن العلاقة التفاعلية بين الإنسان والكون قائمة منذ أقدم العصور وحتى واقعنا المعاصر، وما ذلك إلا لأن الطبيعة الكونية هي المحيط المادي الذي ينبض بالحياة ليقطن فيه الإنسان وينتفع بما فيه من مقومات الحياة، وتحصيلُ قيم الانتفاعِ هذه إنما تتم وفقَ ما اقتضته المشيئة الإلهية من تفعيل مبدأ التسخير النفعي لمكونات هذه الطبيعة للبشر وسائر الكائنات الحية، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾(١)، فكلٌ من الطبيعة والبشر يؤثران ويتأثران ببعضهما البعض.

ثم إن الواقع التاريخي للفكر البشري والوحي الإلهي المنزل على الأنبياء والمرسلين يؤكدان على أن مسار معرفة الإنسان إنما تتشكل في ضوء هذه العلاقة التفاعلية بين الإنسان والكون، فدعوات الأنبياء والمرسلين إلى الله - تعالى - لم تخل من هذا الجانب المعرفي في دعوة البشر إلى النظر في ملكوت السماوات والأرض وفي الأنفس كذلك لتصحيح معرفتهم بالله . تعالى . وإيمانهم به سبحانه وتعالى، من ذلك احتجاج نبي الله نوح عليه السلام على قومه بالجوانب الإدراكية المتعلقة بخلق السماوات والأرض كشواهد دالة على وجود الله تعالى ووحدانيته سبحانه وتعالى ، قال تعالى حكاية عن نوح عليه

(١) لقمان، الآية (٢٠).

السلام: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾ (١).

كذلك تم تأسيس الفكر الفلسفي الأوروبي القديم والحديث، بل والمعاصر أيضاً في ضوء هذه العلاقة التفاعلية بين الإنسان والكون، ولذلك نجد فكرهم هذا يبدأ بالبحث في (الوجود)، فمبحث الوجود في الفلسفة الغربية هو " الذي يهتم بالبحث في الوجود، وإدراك كل ما هو موجود على الإطلاق، ووضع نظرية في الطبيعة من خلال البحث في خصائصها، وكذلك النظر فيما إذا كانت أحداث الكون تقوم على أساس قانونٍ ثابت أم تقع مصادفة ...إلخ، والبحث فيما إذا كان هناك إله أم إذا كان الوجود مادياً صرفاً أو روحانياً خالصاً أو مزاجاً بينهما "(٢).

ثم بناءً على التفكر في (الطبيعة) جاء البحث في قواعد (المعرفة)، ليرتسم ملامح المنهج المعرفي لدى العقل الأوروبي في ضوء التساؤلات الآتية: هل سيكون تحصيل المعرفة بمنهج النظر والاستدلال؟(٣)، أم بالمنهج العلمي التجريبي فقط؟ أم بالحدس؟(٤)، وضمن هذه المناهج المعرفية يتم البحث في (القيم)؛ حيث بات التساؤل المطروح -

(١) نوح، الآيات (١٣:١٦).

(٢) فلسفة الأخلاق، د. مصطفى عبده، مكتبة مدبولي (القاهرة) ط٢ ١٩٩٩م، ص١٣ بتصرف.

(٣) النظر: هو الفكر في حال المنظور فيه لمعرفة حكمه، وقيل هو فكر القلب في شاهد يدل على غائب، أنظر: مفيد العلوم ومبيد الهموم، لجمال الدين أبي بكر الخوارزمي، دار التقدم (مصر) ١٩٠٦م/ ١٣٢٣هـ، ص٨.

(٤) الحدس: هو اطلاع النفس المباشر على ما يمثله لها الحس الظاهر، أو الحس الباطن من صور حسية أو نفسية، أو على كشف الذهن عن بعض الحقائق بوحي مفاجيء ، لا على سبيل الاستقراء أو الاستنتاج، ولكن على سبيل المشاهدة التي ينبلج فيها الحق انبلاجا، أنظر: المعجم الفلسفي، د. جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني (بيروت) ، ١٩٨٢م،ج١ ص٤٥٤.

عندهم - حول القيم: "هل هي مجرد معاني في العقل، أم أن لها وجوداً مستقلاً عن العقل الذي يدركها "[١].

فالعلاقة التفاعلية إذاً بين الإنسان والكون تساعد عقل الإنسان في رسم ملامح منهجه المعرفي، وبالمنهج المعرفي تتشكل عقيدته في الله تعالى؛ لأنها هي الغاية الحقيقية من وجوده في هذا الكون، لذلك دعاه القرآن الكريم إلى النظر في السماوات والأرض لإدراك هذه الحقيقة، وما يترتب عليها من إدراك مسؤلياته الإنسانية والاجتماعية ...إلخ، وهنا يظهر وجه افتراق الطرق بين كل من الفكر الأوروبي والفكر الإسلامي عقدياً وأخلاقياً، وهو ما دفع إلى إبراز بعض أوجه هذا الافتراق بينهما فيما يتعلق فقط بتاريخ فكر القيم الأخلاقية ومآلاته في ضوء تأسيس كل من هذين الفكرين (الأوروبي والإسلامي) للعلاقة التفاعلية بين الإنسان والكون؛ إذ الجانب العقدي عند الشعوب في الإسلام محكوم بالقاعدة القرآنية:﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾[٢]، بينما القيم الأخلاقية تحكمها الأبعاد الإنسانية والاجتماعية بين البشر مع اختلاف عقائدهم، ولذلك لم يَسلَم البشر، والطبيعة كذلك من نتائج انفراط علاقة الإنسان التفاعلية بالطبيعة، حتى أيَّد العلمُ الحديث والواقع المشاهد الحقيقة القرآنية الواردة في قوله الله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾[٣]، ومن جانبه ذهب العلم الحديث إلى أنه لا يوجد مكان على سطح الأرض لم تطله أيدي البشر بالإفساد.[٤].

(١) فلسفة الأخلاق، مصدر سابق ص ١٤.
(٢) البقرة: الآية (٢٥٦).
(٣) الروم، الآية (٤١).
(٤) للمزيد أنظر: البيئة والإنسان عبر العصور، تأليف: إيان ج.سيمونز، ترجمة: السيد محمد عثمان، إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب . الكويت ، عدد(٢٢٢) يونيو ١٩٩٧م.

وعليه فإن هذا البحث يستهدف إعادة النظر في جوهر العلاقة التفاعلية بين الإنسان والكون، وإظهار قيام هذه العلاقة على أساس من القيم العقدية التي تؤكد وجود العناية الإلهية بالكون والإنسان، ليأتي في عقب الدعوة إلى الإيمان بالله -تعالى- الدعوة إلى التمسك بالقيم الأخلاقية الإسلامية، ثم التحصن من التأثر بمسار الفكر الأخلاقي الغربي المادي، للحد من آثاره الضآرة في الواقع -حسب ما قرره الباحثون -بالبشر وبالبيئة؛ إذ إن العلاقة متشابكة بين الإنسان والقيم والكون، والرابط الأعلى الحاكم لهذه العلاقة هو الإيمان بالله تعالى الذي بيده (الخير)، قال تعالى:﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[1].

أهمية البحث:

لقد بدأ العالم أجمع في العصر الحديث يلتفت حول ما اكتشفته الدراسات العلمية في مجال الكونيات، وراحت النظريات التقليدية في فترة ما قبل القرن العشرين، المفسرة لنشأة الكون بقانون الصدفة تدافع عن آرائها وأفكارها، لكن هيهات لها الصمود أمام النتائج العلمية المؤكدة لوجود الله -تعالى- ، وأنه سبحانه وتعالى هو خالق هذا الكون، لكنَّه قد تزامن مع هذا الالتفات العلمي حول دراسة الطبيعة الكونية ظهور متغيرات كونية كان لها بالغ الأثر السلبي على حياة البشر ومواردهم المعيشية، ولا زال العقلاء والمفكرون يبحثون عن آليات لمواجهة آثار هذه التفاعلات الكونية مع حركة الإنسان في الأرض،

(١) آل عمران، الآية (٢٦).

كظاهرتي ثقب الأوزون[١] وتغير المناخ[٢] وغيرها، لكنَّ مناقشة أسباب هذه التفاعلات والبحث عن آليات مواجهتها إنما تتم غالبيتها في إطار الجدال الفكري الذي يعتقد أصحابه بأن الطبيعة المادية هي المصدر الأوحد لوجود الإنسان وأن قِيَمه الأخلاقية إنما تطورت لديه وراثياً بتطوره بيولوجياً -حسب ما يدعيه القائلون بالتطور[٣]- ، وعليه بات معيار (المنفعة المادية) هو المعيار الحاكم لقيم أصحاب هذا الاتجاه؛ ومن ثمَّ أضحى هؤلاء لا يبالون بالكم أو الكيف في وقوع الضرر بالبشر وبالطبيعة، هذا فضلاً عن كون هذه الفلسفات هي أُولىَ مصادر انتشار الإلحاد في العالم.

---

(١) الأوزون شكل من الأكسجين الموجود بكميات قليلة في طبقات الجو المحيطة بالأرض . ويُعد وجود طبقة الأوزون في الطبقة العليا من الجو عاملاً رئيسياً للحفاظ على الحياة على الأرض؛ حيث تعمل كحجاب واقي للأرض من أشعة الشمس فوق البنفسيجية الضآرة، وقد اكتشف العلماء وجود ثقب في هذه الطبقة عام ١٩٨٥م نتيجة إرسال مركبات كيميائية تسمى (الكلوروفلورو كربون) . للمزيد أنظر: الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع (الرياض) ط٢ ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ج٣ ص٤٠٠.

(٢) المناخ: هو مجمل حالة الطقس في منطقة ما لفترة طويلة من الزمن، ويصف علماء المناخ حالة المناخ على أساس المتوسطات الشهرية والسنوية لدرجات الحرارة وتساقط الأمطار والثلوج وغيرها، ويعتقد علماء المناخ أن التغيرات في المناخ ترجع إلى عدة أسباب، منها التفاوت في كميات الطاقة التي تطلقها الشمس، أو تغيير مدار الأرض حول الشمس؛ حيث تنتج عن ذلك اختلافات في كمية الحرارة التي تستقبلها الأرض . وبالنسبة للعامل البشري في تغير المناخ، فهناك أيضا ثاني أكسيد الكربون الذي يتكون في الهواء إثر عمليات الحرق في البيوت وفي المصانع ...إلخ . فهذا الغاز يسمح بمرور أشعة الشمس نحو الأرض، لكنه يحجب قدرا من حرارة سطح الأرض من التسرب خارج الغلاف الجوي، مما يؤدي إلى رفع درجة الحرارة بالقرب من سطح الأرض . للمزيد أنظر: المصدر نفسه، ج٢٤، ص٢٠١ وما بعدها.

(٣) سيأتي مزيد من التوضيح لعلاقة مذهب التطور الداروينى بالأخلاق في المطلب الثاني من المبحث الأول.

ومن هنا تأتي أهمية هذا البحث، فإذا كان الله - تعالى - قد سخَّر هذا الكون للبشرية للانتفاع بما فيه من موارد حياتية لهم، فإن هذا التفاعل الحياتي الانتفاعي إنما يقوم في التصور الإسلامي على أساس خلفياتٍ قيميةٍ إيمانيةٍ وأخلاقيةٍ، ولبيان هذه القيم، فإن فكرة البحث تتمحور حول أمرين:

١. **أولهما:** تقديم تصور تحليلي مقارن بين التصور الغربي والوحي الإسلامي حول ماهية العلاقة الوجودية والتفاعلية بين الإنسان والكون، وأثر هذه العلاقة في تحديد علاقة الدين بالقيم الأخلاقية.
٢. **ثانيهما:** مواجهة الفكر المادي الذي يَنْزَعُ أصحابه إلى فصل الدين مطلقاً عن الحياة والأخلاق، والذي راح نتيجة إفساده لنظام الطبيعة والحياة الإنسانية يبحث عن حلول للمشكلات الناجمة عن هذا الفساد، حتى إن بعض البشر (وهم علماء الفضاء) استلهموا فكرة الغزو الفضائي هروباً من اللحظة الحاسمة لخراب هذا العالم ودماره كما يتوقعون.

أسباب اختيار البحث:

تظهر أسباب اختيار موضوع البحث في الآتي:

١. مواجهة التيار الحداثي[١] الغربي الذي يضع القيم الأخلاقية في سياق الجدال الفكري منقطع الصلة بالدين وقوته الإلزامية في الجانب الأخلاقي، وذلك دون اكتراثٍ للنتائج الكارثية الكونية الناجمة عن هذا السياق.

(١) الحداثة Modernity :هى مذهب فكرى أدبى علماني أُسس على أفكار وعقائد غربية خالصة مثل الماركسية والوجودية والفرويدية والداروينية ، وتهدف إلى إلغاء مصادر الدين وما صدر عنها من عقيدة وشريعة وتحطيم كل القيم الدينية والأخلاقية بحجة أنها قديمة وموروثة ،أنظر، المعجم الفلسفي ، د/ مصطفى حبيسة ، دار أسامة (عمان) ١٤٣٣هـ /٢٠١٢م ، صـ ١٧٩.

٢. تسليط الضوء على التصورات الفكرية الغربية المعاصرة التي تُصيغُ مسألة القيم الأخلاقية وعلاقة الإنسان بها في إطار النظرة التطورية البيولوجية حول تاريخ نشأة الإنسان وصيرورته الحيوانية، سواء على المستوى البيولوجي أم المستوى الثقافي (القيمي).

٣. بيان أهمية دلالات مظاهر التفاعل الكوني مع القيم الأخلاقية في القرآن الكريم في التأكيد على مصدرية الدين للقيم الأخلاقية، وذلك في الوقت الذي يوجد فيه ارتباط وثيق بين الأطروحات الفلسفية الوضعية حول الأخلاق وبين الإلحاد، وهو الأمر الذي يحتم ضرورة مناقشة مثل هذه الأفكار من منظور الإسلام .

أهداف البحث:

تتجلى أهداف البحث في النقاط الآتية:

١. إثبات صحة ما وصلت إليه الأدبيات الإسلامية حول أهمية مرجعية الدين للقيم الأخلاقية، تلك المرجعية التي تنطلق في الأساس من الإيمان بأن الكون كلٌ مخلوق ومركب من أجزاء متكاملة فيما بينها في الحياة، وأنها بتكاملها هذا تؤدي إلى الإيمان بإلهٍ خالقٍ لا يتجزأ أبداً، وهو الله الواحد الأحد الصمد سبحانه وتعالى.

٢. مساعدة المهتمين بدراسة الفكر الأخلاقي في وضع أيديهم على موضع الداء في النقاشات الفكرية المعاصرة حول القيم الأخلاقية، ذلك الداء العضال الذي يحاول به الماديون النفعيون دوماً وأْدَ العلاقة بين الدين والأخلاق، وذلك في سياق ما يشهده العالم في الواقع المعاصر من الالتفاف المزدوج بين الثورة في العلوم التكنولوجية والأنظمة الاقتصادية العالمية، وبات معيار (المنفعة المادية) عندهم هو معيار السلوك الأخلاقي، وأضحى هؤلاء لا يبالون بالكم أو الكيف في آثار الضرر الواقعة بالطبيعة وبالبشر، هذا فضلاً عن دفعهم بالعقول البشرية نحو الإلحاد في الدين نتيجة التفكير المادي في الأخلاق.

٣. بيان أن التراكم المعرفي المرصـــود في التراث الإســـلامي حول القيم الأخلاقية الإسلامية إنما هو تراكمٌ نابعٌ من إدارك حاملي هذا التراث – وهم علماء المسلمين - لأهمية هذه القيم حال اســـتمدادها من مصـــادر الوحي الإلهي في حفظ توازن المجتمع الإنساني والبيئة، وهو الأمر الذي يؤكد ـــ في الوقت ذاته ـــ سمو القيم الأخلاقية في الإســـلام، فعِظمُ المصـــدر وثباته وهو (الوحي الإلهي) يؤكد عِظم المُخْرَج وثباته، وهو: (العقيدة ـــ والشـريعة ـــ والأخلاق)، وثبات المُخْرَج يحفظ المجتمع والطبيعة الكونية المحيطة به من شـــرور متغيرات الســـلوك الإنســـاني الفوضوي واللا أخلاقي.

٤. كشـــف المغالطات الإلحادية التشـــكيكية حول مركزية (الدين) في دائرة العلاقة المتشابكة بين القيم الأخلاقية والإنسان والكون، هذا فضلاً عن بيان تداعيها.

منهج البحث:

يعرض هذا البحث في أولى مباحثه بعض الأفكار الفلســـفية بهدف توليد جانب دعوي منها يمكن اســـتفادته فكرياً من الأطروحة الفلســـفية بأقســـامها الثلاثة: (الوجود . المعرفة ـــ القيم)، ومن هذا المنطلق فإن للباحث ـــ في بحثه ـــ منهجاً خاصاً، ومنهجاً عاماً:

أما المنهج الخاص: فهو أنني ســـلكتُ في هذا البحث البعد عن التعقيد اللفظي ذي الطابع الفلسفي لتقديم المعلومة في الإطار الدعوي المقصود من كتابة هذا البحث.

وأما المنهج العام: فهو الذي تبني فيه الباحث عدة مناهج بحثية منها:

- المنهج التاريخي: وهو الذي يســـتهدف فهم الحاضـــر والتنبؤ بالمســـتقبل في ضـــوء خبرات الماضي وأحداثه[١].

(١) انظر: مناهج البحث العلمي في الفكر الإسلامي والفكر الحديث، تأليف: د. عبدالفتاح محمد العيسوي . د. عبدالرحمن محمد العيسوي، دار الراتب الجامعية ١٩٩٦. ١٩٩٧م ، ص٢٤٣.

- المنهج التحليلي بفرعيه (التفسيري النقدي، والاستنباطي)، ذلك أن التفسير النقدي هو الذي يقوم فيه الباحث بتحليل الأفكار وبيان أوجه الاعتدال والانحراف في الأفكار المتصلة بموضوع البحث بصورة منطقية[١]، أما الاستنباطي: فهو الذي يبذل فيه الباحث جهده العقلي لاستخراج مباديء وأفكار تربوية مدعمة بالأدلة الواضحة[٢]، هذا مع الدراسة المقارنة بين الفكر الغربي والفكر الإسلامي حول ماهية العلاقة التفاعلية بين الإنسان والكون، وأثر هذه العلاقة في تحديد مصدر القيم الأخلاقية الحاكمة لعلاقة البشر ببعضهم البعض، وبعلاقتهم بالبيئة، مع استنباط أهم النتائج التي تؤكد سمو القيم الأخلاقية الإسلامية وصلاحيتها للعمران البشري والكوني .

خطة البحث:

يشتمل البحث بعد المقدمة على تمهيد ومبحثين، وخاتمة:

أولا: المقدمة، وتشتمل على الآتي: (أهمية البحث ـــــ أسباب اختيار البحث . أهداف البحث . منهج البحث . خطة البحث).

ثانيا: التمهيد، وفيه: تحرير مفردات عنوان البحث:

- ≈ مفهوم القيم الأخلاقية.
- ≈ مفهوم التفاعلية.
- ≈ حقيقة العلاقة التفاعلية بين الإنسان والكون.

(١) انظر: أصول البحث العلمي ومناهجه، د. أحمد بدر، الناشر وكالة المطبوعات (الكويت) ، ط٦ ١٩٨٢م ، ص٢٤.

(٢) انظر: المرشد في كتابة الأبحاث، حلمي محمد فوده وعبدالرحمن صالح عبدالله، دار الشروق للنشر (جدة) ١٩٩١م/١٤١١هـ، ص٤٢.

ثالثا: مباحث البحث

- **المبحث الأول:** مادية العلاقة التفاعلية بين الإنسان والكون وعلاقتها بالأخلاق في الفكر الغربي وأثرذلك في الواقع المعاصر. **وفيه ثلاثة مطالب:**
  - **المطلب الأول:** مادية العلاقة التفاعلية بين الإنسان والكون في الفكر الغربي.
  - **المطلب الثاني:** أثر مادية العلاقة التفاعلية بين الإنسان والكون في نزع القيم الأخلاقية من الدين في الفكر الغربي الحديث.
  - **المطلب الثالث:** أثر اتجاهات الفكر الأخلاقي الغربي في الواقع المعاصر في ضوء مادية علاقته التفاعلية بالكون.
- **المبحث الثاني:** القيم الأخلاقية في ضوء العلاقة التفاعلية بين الإنسان والكون

  من منظور القرآن الكريم. **وفيه مطلبان:**
  - **المطلب الأول:** صلة الإنسان بالطبيعة وعالم الغيب وأثرهذه الصلة في نشأة القيم الأخلاقية.
  - **المطلب الثاني:** أثر المنطلق الإيماني لمظاهر التفاعل الكوني في قصص القرآن الكريم وعلاقته بالقيم الأخلاقية.

رابعا: الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات، ثم قائمة المراجع.

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا﴾[النساء:٤٥]

التمهيد

أولا: تعريف مفهوم (القيم الأخلاقية)

إن لفظة (قِيَم) تعكس بعض دلالتها اللغوية والتربوية الجوانب السلوكية عند الإنسان، وهو ما تكون عليه النفس الإنسانية من طبعٍ وسجيةٍ تُعرف لغة واصطلاحاً (بالأخلاق)؛ ومن هنا جاء المزج بينهما عند الباحثين في (الأخلاق) تحت مفهوم (القيم الأخلاقية)، وبيان ذلك على النحو التالي:

(أ) تعريف (القِيَم) في اللغة:

- جاء في الصحاح: " القِيَمةُ : واحدة القِيَمِ، وأصله الواو لأنه يقوم مقام الشيء[(١)].
- وجاء في لسان العرب : " القِيَمُ الاستقامة : والاستقامةُ الاعتدال، يقال: استقام له الأمر، وقام الشيء واستقام: اعتدل واستوى . قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾[(٢)]، معنى قوله استقاموا عملوا بطاعته ولزموا سنة نبيه ﷺ، وأمرٌ قَيِّمٌ: أي مستقيم . قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ﴾[(٣)] "[(٤)] .

جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ﴾: أي: " القائم المستقيم "[(٥)].

---

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، باب (الميم)، فصل (القاف)، مادة (قوم)، إسماعيل حمادة الجوهري، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، دار العنم للملايين (بيروت)، ط٢ ١٩٧٩م، ج٥ ص ٢٠١٧.

(٢) فصلت، الآية (٣٠).

(٣) التوبة، (٣٦).

(٤) لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين ابن منظور، فصل (القاف) حرف (القاف) مادة (قوم)، ، دار صادر (بيروت) ط٦ ٢٠٠٨م ، ج١٢/١١ ص ٢٢٤:٢٢٦.

(٥) تفسير الجامع لأحكام القرآن لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة (بيروت . لبنان) ط١ ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ج١٠ ص١٩٨.

≈ وجاء في أساس البلاغة: "أقام الشيءَ: أدامه . وما لفلان قيمة: ثبات ودوام على الأمر"(١).

فهذه الاشتقاقات اللغوية لكلمة (القِيَم) تدل على معانٍ أخلاقية، وهي:

١. التزام المنهج الشرعي الصحيح.

٢. الاستقامة والاعتدال، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا﴾(٢).

٣. الثبات والمداومة، قال تعالى:﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾(٣).

ومن هنا كانت (الأخلاق) أحد الفروع النظرية الثلاثة لفلسفة (القيم) في الاصطلاح الفلسفي، (الحق والخير والجمال)، " فالقيمةُ من حق وخير وجمال تكون صفة عينية كامنة في طبيعة الأقوال (في المعرفة)، والأفعال (في الأخلاق)، وجمال الأشياء (في الفنون) "(٤).

(١) أساس البلاغة لأبي القاسم جارالله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، باب (القاف) مادة (قوم)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط١ ١٩٩٨م/١٤١٩هـ، ج٢ ص ١١١ .

(٢) الأنعام، الآية (١٦١).

(٣) الدخان، الآية (٥١).

(٤) المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية . الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية (القاهرة)، ١٩٨٣م /١٤٠٣هـ ص١٥١.

(ب) تعريف الأخلاق:

الأخـــلاق فـــي اللغـــة: " مـن الخلـق بضـم الـلام وسـكونها : وهـو الـدِّين والطبـع والسـجية، وحقيقتـه أنـه لصـورة الإنسـان الباطنـة وهـى نفسـه وأوصـافها ومعانيهـا المختصـة بهـا بمنزلـة الخَلـق لصـورته الظـاهرة وأوصـافها ومعانيهـا، ولهمـا أوصـاف حسـنة وقبيحـة، وقـد تكـررت الأحاديـث النبويـة فـى مـدح حسـن الخلق كقوله ﷺ: أكمَلُ المُؤْمِنِينَ إيمَاناً أحْسَنُهُم خُلقاً[1] "[2].

فمـن خـلال هـذه المعـاني اللغويـة لكلمتـي (القـيم) و (الأخـلاق) يتضـح أن موضـوع (القـيم الأخلاقيـة) هـو: دراسـة القـانون الأخلاقـي للإنسـان والمجتمـع، ولـذلك تُعـرف الأخـلاق فـي الاصـطلاح بأنهـا: "ملكـة تصـدر بهـا الأفعـال عـن النفس من غير تقدم رويةٍ وفكرٍ وتكلفٍ " "[3].

وفـي تعريـف الخُلـق يقـول الإمـام أبـو حامـد الغزالـي: " الخلـق عبـارة عـن هيئـة فـي الـنفس راسـخة، عنهـا تصـدر الأفعـال بسـهولة ويسـر مـن غيـر حاجـة إلـى فكـرٍ وروية "[4]، بمعنـى: أن الفعـل الخلقـي الحسـن الـذي يصـدر عـن المسـلم يكـون فعـلاً راسـخاً فـي نفسـه وموافقـاً للشـرع والعقـل، كمـا أن الفعـل الـلا أخلاقـي السـيء الـذي يصـدر عنـه يكـون كـذلك فعـلاً راسـخاً فـي نفسـه؛ إذ إن رسـوخ الفعـل الخلقـي فـي الـنفس يتنـافى معـه التفكيـر أو الرويـةِ للقيـام بـه، فالـذي يصـدر منـه

(١) رواه الإمام الترمذي، ك/ الرضاع، ب/ حق المرأة على الزوج، ١١/١٠، ج٣ ص٤٥٧، وقال فيه أبو عيسى: حديث حسن صحيح . أنظر: الجامع الصحيح لأبي عيسى الترمذي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، مطبعة مصطفى الباب الحلبي، ط٢ ١٩٦٨م/١٣٨٨هـ.

(٢) لسان العرب، مصدر سابق، فصل (الخاء) حرف (الخاء) مادة (خلق)، ج ٦.٥ ، ص١٤٠.

(٣) المعجم الفلسفي، د. جميل صليبا، مصدر سابق، ج١ ص٤٨،٤٩.

(٤) إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي، دار الشعب ، د ط، ج٨ ص١٤٣٤،١٤٣٥.

بـذل المـال فـي وجـوه الخيـر عـن تفكيـرٍ ورويـةٍ لا يقـال أن خلقـه (السـخاء)، وكذلك الذي يسكت عند الغضب بجهدٍ ورويةٍ لا يقال أن خلقه (الحلم)[١].

(ج) تعريف القيم اصطلاحاً باعتبار جانبها الأخلاقي:

تُعرف القيم اصطلاحاً باعتبار جانبها الأخلاقي بتعريفات عدة، منها:

١. القـيم هـي: مجموعـة الأخـلاق التـي تصـنع نسـيج الشخصـية الإسـلامية وتجعلها متكاملـة، قـادرة علـى التفاعـل الحـي مـع المجتمـع، وعلـى التوافـق مـع أعضائه، وعلى العمل من أجل النفس والأسرة والعقيدة[٢].

٢. القـيم: هـي مجمـوع الأخـلاق العامـة التـي تـنظم سـلوك أيـة مجموعـةٍ بشـريةٍ، وتضـع لهـا الضـوابط الحاكمـة، والمضـمون الجمعـي الـذي تتأسـس بـه علاقـات التبـادل الاجتمـاعي للأفكـار، والمعـايير، والحساسـيات، والأذواق "[٣] .

٣. القـيم هـي: القاعـدة التـي يقـوم عليهـا السـلوك، وضـوابط التفـاعلات والعلاقـات بين الأفراد[٤].

٤. وفـي الاصـطلاح الفلسـفي: " يُطلـق لفـظ (القيمـة) فـي علـم الأخـلاق علـى مـا يـدل علـى لفـظ (الخيـر) بمعنـى أن تكـون قيمـة الفعـل تابعـة لمـا يتضـمنه مـن خيريـة وتكـون قيمـة الفعـل أكبـر، كلمـا كانـت المطابقـة بـين الفعـل والصـورة الغائيـة للخيـر أكمـل، والصـورة الذهنيـة الغائيـة تُسـمى بـالقيم النموذجيـة، وتلـك الصـورة هـي الأصـل الـذي تُبنـى عليـه أحكـام القـيم الإنشـائية التـي تـأمر بفعـل

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٤٣٤،١٤٣٥ بتصرف شديد.

(٢) المدخل إلى القيم الإسلامية، د. جابر قميحة، دار الكتاب المصري (القاهرة) / دار الكتاب اللبناني (بيروت)، ١٩٨٤م/ ١٤٠٤هـ ص٤١.

(٣) القيم والمتغيرات الإستراتيجية، عبدالإله بلقزيز، مجلة التفاهم (وزارة الأوقاف والشئون الدينية / سلطنة عمان . مسقط)، عدد (٣٦)، ٢٠١٢م/١٤٣٣هـ، ص٣٠٥.

(٤) انظر: بناء الأجيال، د. عبدالكريم بكار، مجلة البيان (الرياض)، ط١ ٢٠٠٢م/١٤٢٣هـ، ص٣١ .

ما يوافقها وتعده شيئاً مرضياً، وتأمرُ بترك ما يخالفها لكونه منافياً وغير مرغوب"[١].

٥. القيمةُ من منظور فطري: " هي ما يسعى إليه الفرد في الواقع في حلة[٢] نية تُجهد سلوكنا لإخراجه إلى حيز الفعل، فالقيمة هي ما تهدف إليه فاعليتنا بصورةٍ عفويةٍ، وهي نظام يلازم الوجود، ونحن نرجع إليه بأنفسنا حين نود أن نطلق على إنسانٍ ما نعت (خيِّرٍ أو شريرٍ)، أو نصفُ سلوكاً بصفة الصلاح أو الطلاح "[٣].

ومن خلال تكاملية هذه التعريفات الوادرة حول مفهومي (القيم) و (الأخلاق) **يُمكن تعريف القيم الأخلاقية بأنها**: مجموع المباديء التي يفرضها الدين والعقل والفطرة لتنظيم سلوك الإنسان فيما ينبغي عليه فعله من الفضائل، وما يتخلى عنه من الرذائل مما لا ينبغي عند انفعاله النفسي الراسخ إيجاباً وسلباً مع ما هو حسنٌ وقبيحٌ من الأفعال السلوكية، وذلك في إطار علاقته التفاعلية الحية مع نفسه والمجتمع والبيئة من حوله.

ثانيا: تعريف مفهوم (التفاعلية)

إن مفهوم (التفاعلية) مفهوم يعبر عن علاقة تأثيرية بين اثنين تأخذ شكل الاستجابة بين المرسل والمتلقي، ولذا فهو يأتي في العربية :" (تفاعلا): أي أثَّر كلٌّ منهما في الآخر "[٤].

---

(١) المعجم الفلسفي، د. جميل صليبا، مصدر سابق ج٢ ص٢١٣.

(٢) الحلة من الحِلْية، و(الحِلْية) من الرجل: صِفَته وخِلقتُه وصُورته . أنظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية (القاهرة) . مكتبة الشروق الدولية، ط٤ ٢٠٠٤م/ ١٤٢٥هـ. ص ١٩٥.

(٣) القيمة الأخلاقية، د/ عادل العوا، مطبعة جامعة دمشق، ١٩٦٠م/ ١٣٧٩هـ ، ص ٣٨.

(٤) المعجم الوسيط، باب (الفاء) مادة (فعل)، ، مصدر سابق، ص ٦٩٥.

وجاء أيضا أن: " كلمة التفاعلية في اللاتينية (Interactivite) مركبة من كلمتين في أصلها اللاتيني، الأولى كلمة (Inter) وتعني: بين أو فيما بين [أي التوسط بين شيئين]، والثانية كلمة (activus) وتعني: الممارسة في مقابل النظرية، وعليه فإنه عندما يُترجم مصطلح التفاعلية (Linteractivite) من اللاتينية، فيكون معناه ممارسة بين اثنين، أي تبادل وتفاعل بين شخصين "(١).

وفي الاصطلاح الفلسفي: " التفاعلية في اللغة الإنجليزية Interactionism : هي القول بأن كل ما في الوجود هو مؤثر ومتأثر، وأن التفاعل هو القانون الغالب على الحياة، وأنه في الإنسان لا يوجد فعل نفسي أو بدني ليس له رد فعل على بقية أجهزة الجسم، وكذلك رد الفعل له فعل، وهكذا، فالنفس والعقل والبدن جميعها تتفاعل معاً ولا يفعل أيهما بمعزل عن الآخر "(٢).

كما ظهر مفهوم (التفاعلية) في مجال الدراسات الأدبية ليدل على الروح الإبداعية عند المتلقي للنص الأدبي، وتأثُّره وتأثيرِه فيه كيفما شاء، " فهو يعني حضور المتلقي في النص، ومساهمته في بنائه وإنتاج معناه، بغض النظر عن الكيفية والمدة الزمنية التي يتحقق بها وخلالها ذلك القدر من التفاعل، (فالتفاعلية) تعني سيادة المتلقي على النص وحريته في اختيار نقطة البدء فيه، والانتهاء به كيف يشاء هو "(٣).

وبناءً على هذه التعريفات الواردة حول مفهوم (التفاعلية) فيتبيَّن أنه: مفهوم يعبر عن رد الفعل التأثيري والإبداعي الذي يظهره في الواقع طرفان فاعلان في الوجود لكل منهما حضوره وتأثيره على الآخر، وفي ضوء ذلك

(١) التفاعلية في الإذاعة .. أشكالها ووسائها، خالد زعموم . السعيد بومعيزة، اتحاد إذاعات الدول العربية (تونس) ٢٠٠٧م ص٢٦.

(٢) المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، د.عبدالمنعم الحفني، مكتبة مدبولي (القاهرة) ط٣ ٢٠٠٠م، ص ٢٠٨.

(٣) مدخل إلى الأدب التفاعلي، فاطمة البريكي، المركز الثقافي العربي (الدار البيضاء . المغرب)، ط١ ٢٠٠٦م، ص٥٥.

يمكن اعتبار كل من الإنسان والكون طرفان فاعلان في الوجود يُظهرُ كلاً منها تجاه الآخر ردود أفعال تأثيرية وإبداعية، وفهم حقيقة هذه العلاقة التفاعلية بين الإنسان والكون يُبرزها القرآن الكريم في الكثير من آياته، وهو ما يأتي بيانه.

ثالثا: حقيقة العلاقة التفاعلية بين الإنسان والكون

إن القرآن الكريم رسم ملامح العلاقة التفاعلية بين الإنسان والكون؛ حيث جعلهما طرفين يؤثران في بعضهما البعض، فالكون يمنح الإنسان أسباب الحياة بأرضه وسمائه، وناره ومائه، وهوائه وترابه، وشمسه وقمره، وليله ونهاره، وشجره ونباته ... إلخ، كما أنه جُعل مقروءاً للإنسان بكل ما فيه من ظواهر فلكية، لأنها دالّة على وجود الله. تعالى. ووحدانيته، ومن ثمَّ كان لزاماً على الإنسان أن يُظهر تفاعلاً مع هذه الظواهر المبدعة لأداء التكليف الإيماني تجاه المبدع لها وهو الله سبحانه وتعالى، " فالتكليف بالإيمان تكليف بتحصيل أسبابه من القصد إلى النظر في آثار القدرة الدالة على وجوده. تعالى. ووحدانيته وتوجيه الحواس إليها "[1]. ومن الآيات القرآنية التي ورد فيها الأمر الإلهي بتفاعل الإنسان مع ظواهر الكون (أرضاً وسماءً)، قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾[2].

جاء في تفسير الرازي: اعلم أنه. تعالى. لما بيَّن في الآيات السالفة أن الإيمان لا يحصل إلا بتخليق الله تعالى ومشيئته، أمر سبحانه وتعالى بالنظر

(١) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم لمحمد علي التهانوي، تحقيق: د. علي دحروج، ترجمة: د. عبدالله الخالدي، مكتبة لبنان ناشرون (بيروت. لبنان) ، ط١ ١٩٩٦م ، ج١ ص ٣٠١.
(٢) يونس، الآية (١٠١).

والاستدلال في هذه الدلائل، فقال تعالى ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾(١).

وبناء على ما سبق يمكن القول بأن التفكر في حقيقة وجود الإنسان وإدراك قيمه العقدية والأخلاقية لم تُطرح قط في ثقافة من ثقافات الشعوب القديمة والحديثة بعيداً عن فهم علاقة الإنسان بالكون، فهو - بطبيعة الحال - جزءٌ منها، لقوله تعالى: ﴿ مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ﴾(٢)، وعلى هذا الأساس تم التقعيد للعلاقة التفاعلية بين الإنسان والكون وفق السنن الإلهية، والتي تؤدي بالنظر والاستدلال في شواهد التناسق والتناغم الوجودي بينهما إلى الإيمان بالله تعالى، وإدراك عنايته سبحانه وتعالى بهذا الكون، ومن ثمَّ يستلهم الإنسان قيمه العقدية والأخلاقية مما جاء به دين التوحيد السماوي الحق الذي جاء به الأنبياء والرسل - عليهم السلام، تلك القيم التي تحفظ للبشرية والكون حسن التناغم والتناسق بينهم. والذي يعكسُ تحمل الإنسان مسؤوليته تجاه هذه القيم قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴾(٣).

(١) تفسير مفاتيح الغيب للإمام الفخر الرازي، دار الفكر (بيروت)، ط١ ١٩٨١م/١٤٠١هـ ج١٧ ص١٧٦.
(٢) طه، الآية (٥٥).
(٣) الإسراء، الآية (٣٦).

المبحث الأول: مادية العلاقة التفاعلية بين الإنسان والكون وعلاقتها بالأخلاق في الفكر الغربي وأثر ذلك في الواقع المعاصر.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مادية العلاقة التفاعلية بين الإنسان والكون في الفكر الغربي.

إن العقل الغربي القديم لم يفكر قط في حقيقة وجوده، بل ويعمل كذلك على إدراك قيمه المعرفية والأخلاقية بعيداً عن تفاعل ملكاته العقلية والحسية مع ظواهر الوجود؛ إذ إنه من خلال تلقيه مؤثرات الوجود المقروءة بالعقل والمسموعة والمشاهدة بالحس نشأت الفلسفة اليونانية القديمة بمباحثها الثلاثة، وهي: (الوجود، والمعرفة، والقيم)، وهي مباحث مترابطة ومترتبة فيما بينها في الفكر اليوناني .كما تبين آنفاً.

وبهذا اتضح كيف أن العلاقة التفاعلية بين الإنسان الغربي والكون هي التي رسمت لديه ملامح منهجه المعرفي، وقد ارتسمت ملامح هذه العلاقة التفاعلية على نحو مادي على النحو التالي:

(أ) مادية العلاقة التفاعلية بين الإنسان والكون في الفكر اليوناني القديم.

يذكر بعض مؤرخي الفكر اليوناني القديم أنه كان هناك فلاسفة قد تأثروا في مرحلة ما قبل الميلاد بميراث النبوة المعرفي الباحث عن الله تعالى في الوجود[1]، لكنَّ تأثير هذا الميراث النبوي . على فرض وجوده . في هذه الفلسفة الباحثة عن (الله تعالى) سار على خطى بطيئة انطلاقاً من حرص هذا العقل الفلسفي في عدم تجاوز حد التفلسف في عالم الفلك والطبيعة، ليمنع نفسه بذلك عن الوصول إلى مرتبة الإيمان بوجود خالق الوجودسبحانه وتعالى. لكن ودون دخول في تفاصيل تصوراتهم القديمة المتنوعة عن أصل نظام الكون، فقد " كان منهم أفلاطون الذي أسند إبداع الكون إلى المبدع وهو الله ـ تعالى

(١) لمزيد من التفاصيل أنظر: الملل والنحل لمحمد بن عبدالكريم الشهرستاني، ط الحلبي،ج٢ص١١٦.

ـ لكن مع ادعاء أنه سبحانه وتعالى خلقه على مثال سبق، وليس عن عدم مطلق "[١]، تعالى الله عن هذا التصور الباطل في نشأة الخلق علوا كبيراً، وشطح البعض الآخر بتأملهم المتجرد من الإيمان في ظواهر الكون الذي يعيشون فيه ويتفاعلون مع هوائه ومائه وترابه وشمسه وقمره نحو تصور وجود إلهٍ صانع لهذا الكون، فذهبوا في اعتقادهم الباطل إلى ألوهية هذه العناصر المادية ـ والعياذ بالله ـ ، وهم الرواقيون[٢]، فلطغيان عنصر (المادة) على تفكيرهم في علاقتهم بالكون جاء اعتقادهم أن " الله الذي خلق العالم ليس مفارقاً له، بل مباطناً له، فمنه خُلِقَ العالم وإليه يعود، وتصوروه ـ سبحانه وتعالى ـ نفساً وجسماً لكنه أنقى الأجسام جميعاً، إنه أثيرٌ ونارٌ وهواءٌ"[٣].

وحدا بالبعض الآخر منهم القول بادعاء أزلية (المادة)[٤]، (فالمادة) في مذهبهم هي أصل الوجود، فهذا " (أرسطو) يقول في كتابه (ما وراء الطبيعة) : إن العقد الأكبر من أولئك الذين تفلسفوا لأول مرة، اعتقدوا بأن أصول كل الأشياء توجد في شكل المادة"[٥].

تعالى الله عما يقول هؤلاء علواً كبيراً، فإنه لا شك من منافاة هذه التصورات جميعاً لكمال صفات الله ـ تعالى ـ ووحدانيته ـ سبحانه وتعالى ـ، فهو سبحانه وتعالى الأول ولا

---

(١) قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن، نديم الجسر، عدد ملحق بمجلة الأزهر رمضان ١٤٤٣هـ/أبريل ٢٠٢٢م، ج١٠ السنة ٩٥، ج١ ص ٦٣.

(٢) الرواقية: نسبة إلى رواق يسمى بالرواق المصور بأثينا، الذي اتخذه الفيلسوف زينون مقراً له يجتمع فيه، فدُعي أصحابه بالرواقيين، وأطلق عليهم الإسلاميون اسم (أصحاب المظلة) و (الروحانيين)، والرواقية فلسفة في الأخلاق، وازدهرت الرواقية في القرن الثالث قبل الميلاد، يُنظر: موسوعة الفلسفة والفلاسفة، د. عبدالمنعم الحفني، مكتبة مدبولي (القاهرة) ط٣ ٢٠١٠م، ج١ ص٦٦١.

(٣) الفلسفة اليونانية .. تاريخها ومشكلاتها، أميرة حلمي مطر، دار قباء (القاهرة) ١٩٩٨م ص٣٨١.

(٤) الأزلية من الأَزَل: وهو دوام الوجود في الماضي كما أن الأبد دوامه في المستقبل، وقيل هو استمرار الوجود في أزمنة مقدرة غير متناهية في جانب الماضي، أنظر: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، مصدر سابق، ج١ ص١٤٣.

(٥) الفلسفة والإنسان، علي الشامي، دار الإنسانية (بيروت) ط١ ١٩٩١م، ص١٠٥.

شيء قبله، وهو الآخر ولا شيء بعده، قال تعالى ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ﴾[1]، وهوسبحانه وتعالى الذي خلق الموت قبل الحياة.

(ب) مادية العلاقة التفاعلية بين الإنسان والكون في الفكر الغربي الحديث.

لقد تبيَّن كيف كان العقل الغربي قديماً يعتقد أن الكون كتابٌ مسطورٌ لا سلطة فيه عليه عند تفاعله مع ظواهره الطبيعية، وهو الأمر الذي أدي إلى غرس بذور الشك والإلحاد التي ظل هذا العقل يقطف ثمارها حتى ظهرت في المجتمعات الغربية الديانة المسيحية، والتي أخذت تدفع نحو إعادة النظر في فهم علاقة الإنسان التفاعلية بالكون، ومن ثمَّ أنشئت ثقافة دينية عند الشعوب الغربية تؤمن بالإرادة والعناية الإلهية في صنع الكون، وهي ثقافةٌ جاءت ممزوجة بنظرية كونية تُعرف بنظرية أرسطو الكونية، والتي تتحدد أهم محاورها في الآتي[2]:

١. إن الله . تعالى . هو المحرك الأعظم للكون منذ بدء الخليقة.
٢. السماء أفضل مخلوقات العالم الفلكي، وهي مستقلة عنه بخلقها ونظامها الكوني، وهي أكمل ما تكون في صورتها.
٣. الأرض هي مركز الكون، وهي ثابتة لا تتحرك أبداً، وتحيط بها طبقات بلّورية ذات محور مشترك، يحمل الشمس والقمر والنجوم والكواكب التي تدور جميعها حول الأرض الثابتة في دورات أبدية.
٤. كروية الأرض ودائريتها دليلٌ على وجود العناية الإلهية بالكون.
٥. كل ما في هذا الكون إنما وُجد لهدفٍ واحد فقط، وهو: تمجيد الرب.

فهذه مجموعة من القيم العقدية التي أتت بها الديانة المسيحية لمواجهة المعتقدات الوثنية وموجات الإلحاد اللتين كانتا قد غرستهما الفلسفات اليونانية القديمة في إطار

---

(١) الحديد، الآية (٣).

(٢) عندما تغير العالم . تأليف: جيمس بيرك، ترجمة: ليلى الجبالى، إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب . (الكويت)، عدد (١٨٥)، مايو ١٩٩٤م صـ١٣٨ وما بعدها بتصرف شديد.

تصورهم المادي للوجود أثناء تفاعلهم مع ظواهر الكون، لكن " ولأسبابٍ دينية[١] ظهرت في بداية القرن السادس عشر الميلادي، اتجهت الكنيسة الكاثوليكية بروما إلى غرس بذور الثورة العلمية في مجال العلوم الكونية؛ حيث وجَّهت عام ١٥١٤م أحد رجالها، وهو عالم الرياضيات الذي عُرف فيما بعد باسم كوبرنيكس[٢] إلى إعادة النظر في الحسابات الفلكية التي كان معمولاً بها آنذاك في ضوء نظرية أرسطو الكونية "[٣] . المشار إليها سلفاً.

ومن هنا أخذ العقل الغربي في إطار تفاعله من جديد مع هندسة الكون يشقُ طريقه نحو التقدم والتطور العلمي، وتزامناً مع هذه الحركة العلمية بدأ الفكر المادي يعاود الظهور في ساحة الفكر الغربي الحديث، والرفض المطلق لكافة التصورات الدينية القائلة بالعناية الإلهية للكون وصُنع الله له، وكان مبرر أتباع هذا الاتجاه المادي الجديد هو " اكتشافهم بساطة الطبيعة واتساق نظامها "[٤]، وأضحى هؤلاء الماديون يعتقدون بأن علاقتهم التفاعلية بالكون لم تعد في حاجة إلى التأصيل الإيماني لفكرة العناية الإلهية لهذا الكون المُسخر لهم؛ إذ باتوا يعتقدون أن الطبيعة هي فقط من تعتني بنفسها بما تتمتع به من قوانين طبيعية، ولا شك أن في ذلك جحوداً مطلقاً لقدرة الله تعالى وعنايته بهذا الكون، فهو سبحانه وتعالى القائل في كتابه الكريم: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ

(١) لمعرفة هذه الأسباب أنظر: المصدر نفسه، ص ١٣٩،١٤٠ .

(٢) كوبرنيق "نيقولا " : (١٤٧٣. ١٥٤٣م) قسيس وطبيب وعالم فلكي بولندي، وحصل على الدكتوراه في الشريعة من جامعة فيرارا، ولم يعمل كفلكي إلا سنة ١٥١٤م، جمع أفكاره الفكلية في كتابه (الحركات السماوية)، وأثبت فيه أن الشمس مركز الكون وليست الأرض كما كان يدعي بطليموس ونصوص التوارة، يُنظر: موسوعة الفلسفة والفلاسفة، مصدر سابق ج٢ ص١١٢٥.

(٣) عندما تغير العالم، مصدر سابق ص ١٣٩،١٤٠ بتصرف شديد.

(٤) تكوين العقل الحديث، تأليف: جون هرمان راندال، ترجمة: جورج طعمه، دار الثقافة (بيروت) د ت ج١ ص ٣٤٤ بتصرف

وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾(١)، وقال تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾(٢).

وبإعادة النظر المادية هذه في منهج العلاقة التفاعلية بين الإنسان والكون في الفكر الغربي الحديث شق هذا التيار المادي طريقه في عدة اتجاهات نظرية في صياغة قوانين الطبيعة، والتي كان لها - بلا شك - بالغ الأثر في تصور أساس القيم الأخلاقية، ومن أبرزها التياران التاليان:

(١) تيار علماء الكونيات الغربيين في مطلع القرن السادس عشر الميلادي.

فإنه في إطار تطور مجال العلوم الكونية في أوروبا في مطلع القرن السادس عشر الميلادي، أضحى النظر في تناغم الطبيعة واتساق نظامها هو المرجع الوحيد في فهم أسرارها وعلاقتها بالحياة الإنسانية عند أصحاب هذا التيار، فكبلر(٣) - وهو أحد أبرز مؤسسي الثوة العلمية في مجال الكونيات في أوروبا - قال: " اعتقدت في ما مضى أن القوة التي تحرك الكواكب هي نفسٌ حقيقيةٌ. لكنني أظهرت في بحثي عن المريخ أنه لا توجد نفسٌ مثل هذه. واستنتجتُ أن هذه القوة يجب أن تكون قوة مادية"(٤). وعلى الجانب الآخر تم رفض دعوات الآباء القديسين إلى إدراك الغاية الإلهية من الخلق، " فقد كان من المعتقدات الدينية التي كانت تسود أوروبا في القرون الوسطى أن الكون مخلوقٌ

---

(١) الروم، الآية (٢٥).

(٢) فاطر، الآية (٤١).

(٣) فكبلر "يوحنا": (١٥٧١. ١٦٣٠م) مؤسس علم الفلك الحديث، من مواليد أحدي قرى ألمانيا الغربية، وبدأ حياته بدراسة اللاهوت، لكنه انصرف عنه إلى الرياضيات واشتغل بتدريسها، وكان يرى فيها أكمل العلوم. نشر كتابه (الكوزموغرافيا الملغزة) ١٥٩٧م، أيَّد فيه نظرية كوبرنيق حول مركزية الشمس في الكون، يُنظر: موسوعة الفلسفة والفلاسفة، مصدر سابق ج٢ ص ١٠٩٨.

(٤) تكوين العقل الحديث، مصدر سابق ج١ ص٣٥١.

ومحفوظٌ بعناية إلهية لتحقيق غاية إلهية من الخلق"[١]، والتي هي من منظور الإسلام تتمثل في قول الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[٢].

وهكذا أخذ كثير من رواد هذا التيار العلمي المادي في خلق فجواتٍ في إيمان العقل الغربي بالتعاليم الدينية المتعلقة بنظام الكون، وعلاقة الإنسان التفاعلية الإيمانية مع ظواهره، وحينذاك صار المفهوم السائد هو أن (الكون عقلانيٌ)، بمعنى أن الكون - عندهم - صار خاضعاً لما مُنح إياه الإنسان من ملكات في الفهم والإدراك دون حاجةٍ إلى البعد الإيماني بالدين، فلطالما أخذ الإنسان الغربي الحديث يُعَّبرُ عن ثقته المطلقة فقط في قدراته العلمية في فهم أسرار الطبيعة والاستفادة منها، هذا فضلاً عن الرفض المطلق لأي قيمٍ عقديةٍ تشير إلى وجود أسرار غيبية في هذا الوجود لا تقع في إطار (المادة). وأخذت الكثير من التصورات الدينية حول وجود الله تعالى وعنايته سبحانه وتعالى بالكون وحفظه له تتحطم على صخرة عقول أتباع هذا التيار الإلحادي في الفكر الغربي الحديث .

فالبحث في ظواهر الكون عند هؤلاء أضحى مقتصراً - فقط - على معرفة قوانين الطبيعة وفهم كيفية اتساق ظواهرها وتفسير حدوثها في ضوء هذه القوانين، ولا شأن لهم مطلقاً بمحاولة إدراك مظاهر العناية الإلهية بهذا الكون، وفهم الغاية من خلق الله تعالى لهذا العالم، بمعنى أنه قد انحصر اهتمامهم - فقط - في فهم الكيفية التي خُلِقت بها ظواهر الوجود، دون الاهتمام بالبحث في أمر العناية الإلهية بها، والغاية الإلهية من بديع صنعها، وذلك على النحو الذي تفرضه إجابة السؤال التالي، وهو: لماذا كان صنع الكون والإنسان بديعاً؟، والإجابة هي: للدلالة على وجود الله - تعالى - ووحدانيته سبحانه وتعالى،

(١) المصدر نفسه ، ج١ ص٧٤ بتصرف شديد.
(٢) الذاريات، الآية (٥٦).

" فإيزاك نيوتن[١] كان السؤال الرئيس الذي يبحث عن إجابة له هو: ((كيف؟)) وليس ((لماذا؟))"[٢].

واختُتمَ القرن التاسع عشر الميلادي بتغليب التفسير المادي الإلحادي لنشأة الكون والادعاء بأن حركته ميكانيكية (أي آلية)؛ حيث " ظهر في القرن التاسع عشر ما يُسمى بالتفسير الميكانيكي للكون ..... وأصبح من الحقائق المسلم بها - عند هؤلاء - هو أن جميع وقائع الكون إنما تحدثُ فقط بسبب علل مادية"[٣]. فكل شيء موجود في الطبيعة بات يتم تفسير وجوده حسب قوانين مادية فقط، " فإضافة الأفكار إلى المخ تشبه إضافة الصفراء إلى الكبد، أي أنه كما تفرز الكبد الصفراء، فإن المخ يفرز التفكير "[٤].

ثم جاء هؤلاء (بالنظرية النسبية) لتجعل من حقائق الوجود أمراً نسبياً، وأن تقرير مصداقيتها بات أمراً متعلقاً بعملية إدراكها عند المجتمع الإنساني، اتفاقاً أو اختلافاً، ويمكن تسمية هذه النسبية (بالنسبية المجتمعية)، وذلك - مثلاً - كصدور الحكم القيمي على سلوك الإنسان الأخلاقي بأنه خيرٌ أو شرٌ ، هل هو خيرٌ في ذاته، أم لا؟.

فالفعل القيمي الأخلاقي الموسوم بالخير في إطار النسبية المجتمعية يُوصف بأنه حقيقة في ذاته عند حصول الإدراك به عند كافة أطراف المجتمع الإنساني، بحيث لا يختلف عليه اثنان، وحينئذٍ يتبيَّن أن فعل الخير أمرٌ قيمي ينتمي لعالم الطبيعة الكونية، وعليه فإن (فعل الخير) لا يختلف الحكم عليه بأنه خير باختلاف الزمان والمكان.

---

(١) فإيزاك نيوتن: (١٦٤٢ . ١٧٢٧م) هو العالم الإنجليزي الشهير خريج جامعة كمبردج والأستاذ بها، أهم كتبه "المبادىء الرياضية للفلسفة الطبيعية (١٦٨٧) والبصريات (١٧٠٤) وكان لمنهجه العلمى ولمكتشفاته أثر فى الفلسفة، وجاء اكتشافه لقانون الجاذبية ليدلل على مبدأ يفسر تماسك أجزاء الطبيعة، يُنظر: تاريخ الفلسفة الحديثة ، د/ يوسف كرم ، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة) ط٢ ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، صـ ١٦٩ .

(٢) عندما تغير العالم، مصدر سابق ص ١٦٩.

(٣) الدين في مواجهة العلم، وحيد الدين خان، دار النفائس (بيروت) ط٤ ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ص٤٢.

(٤) تمهيد للفلسفة، د. محمود حمدي زقزوق، دار المعارف (القاهرة) ط٥ ١٩٩٤م ، ص١٨٧.

وتُوصف هذه النسبية بأنها "نسبية الفيلسوف الألماني إيمانويل كانط[١] "[٢]. وهنا تجدر الإشارة إلى ما بيَّنه القرآن الكريم من أن فعل الخير بين الخلق إنما هي قيمٌ أخلاقيةٌ راجعة لاعتبارات في طبيعة (الخير)، ولذلك دعا القرآن الكريم الناس إلى فعله في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[٣].

قال الطاهر ابن عاشور: " قوله تعالى: ﴿وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ﴾ أمر عز وجل بإسداء الخير إلى الناس من الزكاة، وحسن المعاملة: كصلة الرحم، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وسائر مكارم الأخلاق، وهذا مجملٌ بيَّنته وبيَّنت مراتبه أدلةٌ أخرى"[٤].

هذا وتوجد عند هؤلاء نسبية أخرى يمكن تسميتها (بالنسبية الفردية أو الذاتية)، وهي على النقيض من (النسبية المجتمعية)، فإذا أخذنا الحكم التقويمي للفعل الأخلاقي مثالاً لها، نجد أنها تذهب إلى أن وصف الفعل القيمي بأنه خيرٌ لا تعد صفةً في ذات الفعل، بل إنها صفة نسبيةٌ تعود إلى إدراك الفرد له إدراكاً ذاتياً، مع تقديره لمدى نفعية هذا الفعل له ومدى تفاعله معه، هذا فضلاً عن قبول هذا الحكم التقويمي لتعدد وجهات نظر الأفراد في المجتمع الواحد تبعاً لاختلاف إدراكات كل فرد ورغباته الذاتية وحاجاته النفعية، فما

---

(١) إيمانويل كانط: (١٧٢٤- ١٨٠٤م) فيلسوف ألمانى جمع فى فلسفته بين المذهبين العقلى والحسى ، ثم تحول إلى فلسفة الأخلاق فصنف فيها كتابين :الأول "تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق"(١٧٨٥)، والثانى"نقد العقل العملى" (١٧٨٨) وخلاصة موقفه فيهما أن الفلسفة الخلقية لاتقوم على التجربة الظاهرة بل على العقل وحده فهو الذى يمدنا بالواجب الأخلاقى ،يُنظر: تاريخ الفلسفة الحديثة ، مصدر سابق ص٢٢٥ .

(٢) انظر: فلسفتنا، محمد باقر الصدر، دار التعارف (بيروت) ، ط١٥ ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، ص١٢٦.

(٣) الحج، الآية (٧٧).

(٤) تفسير التحرير والتنوير للإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية (تونس) ط١ ١٩٨٤م، ج١٧ ، ص٣٤٦.

قد يراه إنسان أنه خيرٌ، قد يراه آخر أنه شرٌ[١]، " والسبب الرئيس في ظهور هذه النسبية الذاتية هو التفسير المادي للإدراك، واعتباره مجرد محتوى عملية مادية يتفاعل فيها الجهاز العصبي المدرِك والشيء المُدَرك، كالهضم الذي تحققه عملية تفاعل خاص بين الجهاز الهضمي والمواد الغذائية. فكما أن الغذاء لا يتفاعل ولا يُهضم إلا بإجراء عدة تصرفات وتطويرات عليه، كذلك الشيء الذي ندركه لا يُتاح لنا إدراكه إلا بالتصرف فيه والتفاعل معه"[٢].

وبناء على ما سبق يمكن تحديد أبرز محاور الأبعاد الفكرية الناجمة عن تطور الدراسات الكونية الغربية حتى القرن التاسع عشر الميلادي، وأثرها على القيم العقدية، وذلك في الآتي:

١. أن القاعدة الأساسية في العلاقة التفاعلية بين الإنسان والكون هي الوقوف على سطحيات الأمور وظواهر الأشياء، واقتصار المنهج عند حدود إدراك (المادة)، مع غض الطرف عن إدراك الحقائق الجوهرية الكبرى ذات الصلة الشديدة باستقامة حياة الإنسان في الدنيا والآخرة، وهي الحقائق الإيمانية، وصدق فيهم قول الله تعالى: ﴿يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ ﴾[٣].

(١) يرجع ظهور هذه النزعة الذاتية (الفردية) إلى السوفسطائيين، وهم جماعة من اليونانيين القدماء الذين تكلموا في الفلسفة، فهؤلاء أسسوا للنزعة الفردية في مقابلة النزعة الموضوعية عند فلاسفة اليونان، وقالوا بأنها هي الأساس والمقياس الوحيد في النظر إلى كل شيء في الوجود والحياة، كما قام هؤلاء بحملة عنيفة على الدين والمعتقدات، وأرجعوا (القيم) إلى الإنسان نفسه بحسبانه المقوم الأكبر والمشرع الأول والأخير لها، ولذلك يقال إن أوجه الشبه بين السوفسطائية وعصر النهضة كبير، يُنظر: موسوعة الفلسفة، د/ عبدالرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر(بيروت)، ط١ ١٩٨٤م، ج١ ص٥٨٨.

(٢) فلسفتنا، مصدر سابق، ص١٣٤.

(٣) الروم، الآية (٧).

٢. انكماش تصورات الإنسان حول حقيقة وجوده، ليصبح تصوره في ذاته أنه مجرد ظاهرة مادية تخضع للدراسة التجريبية، ولا مجال للبحث عن علل غيبية وراء تكوينه.
٣. أن (المادة) هي أساس الوجود، وأن الحياة في هذه المادة إنما ترجع إلى حركتها الطبيعية دون الاعتقاد بوجود قدرة إلهية هي التي منحتها صفة الحياة.
٤. التنكُّر للأفكار الفلسفية الباحثة فيما وراء الطبيعة (أي الأفكار الغيبية).
٥. رفض القيم العقدية القائلة بمبدأ (العناية الإلهية) للكون، وكذلك القيم العقدية الداعية إلى معرفة الغاية الإلهية من الخلق.
٦. لا توجد حقائق مطلقة، و(النسبية) هي السمة العامة لكل شيء يكتسب صفة (الوجود).

(٢)تيار علماء الأحياء الغربيين القائلين بتطور الأحياء البشرية

إن الدراسات البيولوجية التي ظهرت في أوروبا في القرن التاسع عشر الميلادي تحديداً حول تفسير ظاهرة وجود الإنسان وعلاقته التفاعلية بالطبيعة، إنما تمثل الوجه الثاني لتيار تأليه (المادة) والتفسر الميكانيكي (الآلي) للطبيعة، فقد جاء مذهب تشارلز دارون[١] تحديداً في تطور الأحياء[٢]، ليجعل الإنسان الغربي يُولي وجهه شطر الطبيعة

(١) داروين، تشارلز روبرت (١٨٠٩. ١٨٨٢م) عالم طبيعي إنجليزي أسس نظرية التطور التاريخي للعالم العضوي . أقام في كتابه (أصل الأنواع عن طريق الانتخاب الطبيعي أو حفظ الأجناس المنفصلة في الصراع من أجل الحياة) ١٨٥٩م القضايا الأساسية لنظرية التطور . كان مفكرا جدليا تلقائيا، وكان ملحدا. أنظر: الموسوعة الفلسفية، وضع لجنة من العلماء والأكاديميين السوفياتيين، ترجمة: سمير كرم، دار الطليعة (بيروت . لبنان) ط١ ١٩٧٤م، ص ١٩٢ .

(٢) مذهب التطور(Evolutionnisme): مذهب قديم ترجع جذوره التاريخية إلى الفلسفة اليونانية، غير أنه لم يصبح مذهباً علمياً إلا في العصور الأخيرة، يوم أخذ العلماء يعللون نشوء الأنواع الحية بقانون تنازع البقاء، وقانون الانتخاب الطبيعي، أو يرجعون تبدلها التدريجي البطيء إلى تأثير البيئة والوراثة، أو يجعلون التطور قانوناً كلياً محيطاً بكل شيء: من السديم إلى الشمس والكواكب السيارة، ومن الأنواع الكيميائية إلى الأنواع الحية، ومن الوظائف العضوية إلى الملكات العقلية والمؤسسات الاجتماعية، أنظر: المعجم الفلسفي، د. جميل صليبا، مصدر سابق، ج١ ص٢٩٥.

المادية، كي يحاول فهم طبيعة علاقته التفاعلية بالكون، هل هو تفاعل من منطلق الانتفاع بمقتضيات التسخير الإلهي لمقومات الحياة الإنسانية في هذا الكون؟، أم من منطلق الإيمان بألوهية مادة الطبيعة؟ -والعياذ بالله- ؛ ليسير الإنسانُ تحت تأثير هذه النظرية نحو الاستسلام التام لافتراضات العلم التجريبي الوضعي عن تساؤلاته حول مصدر وجوده في هذا العالم: من هو؟ ومن أين جاء إلى هذا العالم؟ وكيف جاء إليه ؟ وإلى أين مصيره بعد الموت؟.

وقد حاولت نظرية تشارلز دارون في دراسة عالم الأحياء وتطوره -على نحو ما يذهب إليه دارون - الإجابة عن هذه التساؤلات؛ حيث الزعم بحدوث تطور نوعي في أصل خِلقة الكائنات الحية وخلاياها حتى تصل إلى أرقى ما تصل إليه من اكتمال البنيان الجسدي، ويسبق فكرة التطور هذه ما يُسمى (بالانتخاب الطبيعي)، والذي يقوم على افتراضاتٍ، منها: " أن الطبيعة هي التي وهبت الأنواع الحية القوية من النباتات والكائنات الحية عوامل البقاء والنمو والتكيف مع البيئة لتصارع الكوارث وتتدرج في سلم الرقي النوعي، مما يؤدي إلى تحسن نوعيٍ مستمر ينتج عنه ظهور أنواع راقية جديدة كالقردة، وأنواع أرقى تتجلى في الإنسان "[1].

والمتأمل فيما جاء في مذهب داروين التطوري يجد أنه يقوم على فكرتين أساسيتين:

- الفكرة لأولى: فكرة الصراع من أجل البقاء.
- الفكرة الثانية: فكرة البقاء للأقوى، أو ما يُسمى (بالانتخاب الطبيعي).

وهاتان الفكرتان تتكاملان فيما بينهما؛ إذ الحياة في نظر داروين إنما تقوم على فكرة صراع الكائنات الحية من أجل البقاء، فباكتساب الأقوى للبقاء يتم انتقاءه عن الضعيف في الطبيعة، أي أنه لا يتمتع بالبقاء من الكائنات الحية سوى من يخرج من صراع الوجود حياً.

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، أعمال الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الناشر دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع (الرياض) ط٥ ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ج٢ ص٩٢٦.

والمتأمل في تاريخ مذهب التطور الدارويني يجد أن فكرتي الصراع والانتقاء الطبيعي بين الكائنات الحية إنما جاءتا تعبيراً عن الخلفية الفكرية التي من خلالها أخذ هذا المذهب حيزه في الوجود، ألا وهي تلك الدراسة الهندسية المادية لوجود الإنسان وبقية الكائنات الحية، التي أخذ روادها في البحث عن أبعاد المشكلة الاجتماعية والاقتصادية المترتبة على الكثافة العددية لسكان الأرض من البشر وغيرهم، وما يتوفر لهم من غذاء مقارنةً بأعدادهم، " فإن دارون أشار إلى أنه قد أخذ المفاهيم الأساسية لهذه الفكرة من كتاب (دراسة في السكان) الذي ألفه عالم الاقتصاد الانجليزي مالثوس Malthus ، والذي نُشر في عام ١٧٩٧م"[١].

فإنه في سياق هذه الدراسة الهندسية المادية لوجود الإنسان المجردة من الاهتمام بمبدأ العناية الإلهية للمخلوقات جاء داروين بنظريته، في الانتخاب الطبيعي، والتي دفعت بالإنسان في علاقته بغيره من البشر في ظل مشكلاته الاجتماعية والاقتصادية إلى الانحصار في زواية الصراع الوجودي، لتكون النتيجة هي الانتقاء الطبيعي لمن هو أقوى منهما؛ إذ البقاء للأقوى، ثم تكون النتيجة التالية هي التخفيف من حدة الزيادة السكانية، ومعدلاتها من الغذاء ، ومن هنا يتضح أن مذهب داروين التطوري حكم العلاقة التفاعلية بين الإنسان والكون بمبدأ (الصراع) من أجل الحياة التي لا بقاء فيها إلا لمن يقوى على التكيف المادي مع ظروفها.

وبناءً عليه يمكن القول بأنه في الوقت الذي أدى فيه تيار العلوم الكونية إلى القول بالآلية الميكانيكية لوجود ظواهر الكون وحركتها؛ حيث لا اعتقاد لديهم بمبدأ الإيمان بالله -تعالى -وعنايته سبحانه وتعالى بالكون والإنسان، فقد أدت العلوم البيولوجية إلى القول

(١) تمهيد للفلسفة، مصدر سابق، ص ١٨٥.
وانظر: حكمة الغرب (الفلسفة الحديثة والمعاصرة)، تأليف: برتراند راسل، ترجمة: فؤاد زكريا، إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب . الكويت ، عدد (٧٢) ديسمبر ١٩٨٣م، ج٢ ص١٦٥.

بالمادية الجدلية (الديالكتيكية)[١]، وهي . على حد قول . ستالين[٢]:" تسير مادية ماركس من المبدأ القائل: إن العالم بطبيعته ماديٌ، وأن حوادث العالم المتعددة هي مظاهر مختلفة للمادة المتحركة، وأن العلاقات المتبادلة بين الحواث وتكييف بعضها بعضاً بصورة متبادلة كما تقررها الطريقة الديالكتيكية، هي قوانين ضرورية لتطور المادة المتحركة، وأن العالم يتطور تبعاً لقوانين حركة المادة، وهو ليس بحاجة لأي عقل كليٍ"[٣]، أي إلى عقلٍ إلهي، وهذا يعني أنه بتياري العلوم الكونية والبيولوجية بات الفكر المادي هو الحاكم على مسار التفكير العلمي في الفكر الغربي الحديث.

(١) مادية جدلية Materialism dialectique : وتتلخص في أن مظاهر الوجود على اختلافها نتيجة تطور مستمر للمادة في كمها وكيفها ويؤدي إلى تطورات مفاجئة، وهي أساس الماركسية. أنظر: المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية (القاهرة) مصدر سابق، ص١٦٤.

(٢) ستالين جوزيف: (١٩٥٣. ١٨٧٩م) رئيس الاتحاد السوفيتي، وكان في عهده يدير شبكة عالمية من الأحزاب الشيوعية في أحد عشر بلدا في العالم، يُنظر: الموسوعة العربية العالمية، مصدر سابق، ج١٢ ص١٥٢.

(٣) فلسفتنا، مصدر سابق ، ص١٨٨.

المطلب الثاني: أثر مادية العلاقة التفاعلية بين الإنسان والكون في نزع القيم الأخلاقية من الدين في الفكر الغربي الحديث.

لقد كان الديانة المسيحية في أوروبا تؤكد على وجود البعد القيمي الأخلاقي كناتج للعلاقة التفاعلية بين الإنسان والكون؛ حيث إرجاع الأخلاق إلى الإيمان بالعناية الإلهية للكون، وفي هذا الفكر الأخلاقي تقاربت وجهات نظر كلٍ من أرسطو(١) والقديس توما الأكويني(٢) ، "فكلاهما كانا يؤكدان على أن الكون خُلق لغايةٍ، وغايته هي فيما يبرر وجود الكون للإنسان: أي في أنه يخدم الخير "(٣) . " وتقرر التسليم بأنه لا أخلاق بغير إيمان بالله "(٤).

لكن تبيَّن كيف أن التحولات الجذرية في العلوم الكونية والبيولوجية الغربية الحديثة أدت إلى تغيير ملامح هذه العلاقة التفاعلية بين الإنسان والكون المؤدية إلى محاولة فهم الغاية الإلهية من الخلق، وغُلِّبَ الاتجاه المادي في تفسير ظواهر الوجود (الطبيعة والإنسان)، وكان نتاجاً لهذا التحول في تصور طبيعة العلاقة التفاعلية بين الإنسان والكون وأثرها العقدي والأخلاقي على أساس الإيمان بالله. تعالى . أنْ ظهر منطلقان في

---

(١) أرسطو (٣٨٤.٣٢٢ قبل الميلاد)، فيلسوف وعالم موسوعي، ومؤسس علم المنطق وعدد من الفروع الأخرى للمعرفة الخاصة . اعتبره ماركس أعظم مفكري العصور القديمة . ولد في تراقية وتربى في أثينا بمدرسة أفلاطون، وتأرجح بين المثالية والمادية، ويعد كتاب (ما بعد الطبيعة) كتاب أرسطو الأساسي . أنظر: الموسوعة الفلسفية ، مصدر سابق، ص١٩.

(٢) الأكويني، توما (١٢٢٥.١٢٧٤م): لاهوتي كاثوليكي إيطالي، راهب دومينكاني، رسم قديسا في عام ١٣٢٣م . نشأت فلسفته المثالية الموضوعية نتيجة لتعريف الفلسفة الأرسطية وتكييفها مع الديانة، والمبدأ الأساسي في الفلسفة التوماوية هو انسجام الإيمان مع العقل . أعماله الرئيسية (خلاصة الرد على الخوارج / ١٢٦١.١٢٦٤م) ، (الخلاصة اللاهوتية / ١٢٦٥.١٢٧٣م) . أنظر: المصدر نفسه، ص ٤٥.

(٣) تكوين العقل الحديث، مصدر سابق ج١ ص١٦٢،١٦٣.

(٤) سؤال الأخلاق، د. طه عبدالرحمن، المركز الثقافي العربي (بيروت . لبنان) ط١ ٢٠٠٠م، ص٣١.

الفكر الغربي الحديث حول نشأة القيم الأخلاقية عند البشر، أحدهما: كوني (فطري)، والآخر: ذاتي نفعي، وبيانهما على النحو التالي:

١. المنطلق الكوني: (القيم الأخلاقية قانون من قوانين الطبيعة الكونية).

إنه من خلال المقاربة بين قوانين الطبيعة وقوانين الحياة الإنسانية ذهب الفيلسوف الألماني إيمانويل كانط إلى أن القيم الأخلاقية أحد خواص الطبيعة الكونية التي يمكن إدراكها بالعقل بداهةً؛ حيث إن قيم الخير قانون من قوانين الكون كقانون الجاذبية العام، بمعنى أنه "كما يعمل قانون الجاذبية على جذب الأشياء المادية ليحفظ توازنها في الكون كذلك هو حال قيم الخير (الأخلاقية)، فإنها تجذب الإنسان إلى التفاعل معها والالتزام بها "[١]، وتبعاً لهذه المدرسة فإنه يستوي في إدراك هذه القيم الأخلاقية بالعقل كل البشر، " فالقيم الخلقية كالعدالة أو الصدق شأنها شأن البديهيات الرياضية ضرورة يقتضيها العقل ويدركها بداهةً دون حاجة إلى برهنةٍ . ومنذ أن يُولد الإنسان يكون مزوداً بها، وهي ثابتة وعامة في كل الناس بصرف النظر عن الزمان والمكان ونوع المجتمع السائد، ومستوى الحضارة له "[٢].

وهذا يعني أن إقدام الإنسان نحو الفعل الخلقي إنما هو راجع إلى طبيعته التفاعلية وفق عقله وإرادته وضميره الأخلاقي مع سائر الموجودات في الكون، وذلك في ضوء وجود قيم أخلاقية كونية (فطرية) عليا تُسِّير السلوك الإنساني بشكل غريزي، وأنه لا يختلف على تقييم هذا الفعل الخلقي بأنه (خيرٌ) اثنان من البشر، مهما كانت نتائج هذا الفعل؛ لأنه خيرٌ في ذاته، كما أنه فعلٌ لا يخضع للأهواء والميول الذاتية للبشر، ومن هنا أطلق إيمانويل كانط في نظريته الأخلاقية مفهوم (الإرادة الخيِّرة)، ثم إنه مفهومٌ أطلقه (كانط) <u>لثلاثة أسباب:</u>

---

(١) الفلسفة .. أنواعها ومشكلاتها، هنتر ميد، ترجمة: د. فؤاد زكريا، دار نهضة مصر ط١ ١٩٦٩م، ص ٢٦٦.

(٢) التطور والنسبية في الأخلاق، حسام محيي الدين الآلوسي، دار الطليعة (بيروت) ط١ ١٩٨٩م، ص١٤.

(١)**السبب الأول:** هو أنه يريد - زعماً - نسبة فطرية القيم الأخلاقية عند الإنسان إلى (عقله) بحيث لا يحاول هذا (العقل) تقديم مبررات لعلاقة القيم الأخلاقية بالدين، وكذلك تفكيك العلاقة التي كانت سائدة في أوروبا في القرون الوسطى بين مبدأ العناية الإلهية للكون والأخلاق، لذلك نسَبَ هذا الفيلسوف صدور المبدأ الأخلاقي إلى (العقل) تحت زعم استلهامه هذا المبدأ بالقياس على موقف العقل من العلوم التجريبية الكونية، " فالإدراكات العقلية - من وجهة نظره - ما هي إلا تحصيل حاصل للخبرة الحسية "[١] في عالم الطبيعة، ولذلك "جعل كانط فعل الإنسان اللا أخلاقي منافياً للمنطق لتناقضه مع العقل"[٢]، وهو ما انتقده فيه د. محمد عبدالله دراز مدللاً على ذلك بأن من يقطع وعداً لأحد ثم لا يفي به، أن ذلك لا يعد تناقضاً أخلاقياً بالمعنى الصحيح للتناقض المنطقي، بل يعد تبايناً في المواقف[٣] .

هذا مع العلم بأن النصوص المقدسة قد تضافرت في بيان تكريم الله - تعالى - للإنسان بين سائر المخلوقات في الكون، وأن (العقل) هو أبرز مظاهر هذا التكريم، فقد جاء في سفر التكوين (١: ٢٨،٢٧): " فخلق الله الإنسان على صورته . على صورة الله خلقه . ذكر وأنثى خلقهم . وباركهم الله وقال لهم : اثمروا وأكثروا واملأوا الأرض وأخضعوها "، وكذلك جاء في القرآن الكريم قوله تعالى:﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[٤] . يقول الإمام أبو حامد الغزالي : " اعلم أن الباري سبحانه وتعالى شرّف هذا الإنسان،

---

(١) دعوى الأنسنة في الإسلام عند الدكتور محمد أركون عرض ونقد، مصطفى عبدالكريم إبراهيم، رسالة دكتوراه منشورة، دار نور اليقين (القاهرة) ط١ ١٤٤٥هـ/٢٠٢٤م، ص٤٤.

(٢) دستور الأخلاق في القرآن " دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن "، د/ محمد عبدالله دراز ، تعريب د/ عبدالصبور شاهين، مؤسسة الرسالة . دار البحوث العلمية ، د . ت ، ص٥٧.

(٣) للمزيد أنظر: المصدر نفسه، ص ٥٨.

(٤) سورة الإسراء، الآية (٧٠).

وكرّمه فقال سبحانه ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ .....الآية﴾ ، فكان من أعظم ما شرّفه به وكرّمه العقل، الذي تنبّه به على البهجة ، وألحقه بسببه بعالم الملائكة ، حتى تأهّل به لمعرفة بارِئه ومُبدِعه بالنظر في مخلوقاته، واستدلاله على مخلوقاته، واستدلاله على معرفة صفاته، بما أودَعه في نفسه من حكمة وأمانة"(١).

(٢) **السبب الثاني:** هو إثبات إنسانية القيم الأخلاقية، فإيمانويل كانط يريد أن ينأى بالقيم الأخلاقية عن عالم الوراثة الحيوانية على نحو ما يدعي التطوريون -كما سيتبيَّن - ، "فالقيم الأخلاقية هي وحدها التي تجعل أفق الإنسان مستقلاً عن أفق البهيمة "(٢) ، وكذلك أراد إيمانويل كانط أن يسمو بالأخلاق عن الرغبات الذاتية والنفعية المادية عند البشر، لذلك قام بقياس القانون الأخلاقي على قانون الطبيعة في استقلال كل منهما عن تجارب البشر(٣) .

وفي هذا المعنى يقول د. محمد عبد الله دراز رحمه الله (٤): " القانون الأخلاقي من حيث هو لا حاجة به مطلقاً لأية قيمة خارجة عنه، يسوغ بها أمره. وإنما ينبغي، بل ويكفيه لكي يؤكد سلطته في الحياة أن يُقدم لنا العمل على أنه إلزاميٌ وحسنٌ في ذاته بقطع النظر عن أية نتيجة مستحسنة أو مستهجنة "(٥)، فالخير هو الفعل الخلقي الذي ينبغي على الإنسان فعله، لأنه خيرٌ في ذاته بغض النظر عن الناتج عنه، وهو ما يقوم

---

(١) الحكمة في مخلوقات الله للإمام أبي حامد الغزالي ، تحقيق: محمد رشيد قباني، دار إحياء العلوم (بيروت) ،ط١ ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ص٦٦ .

(٢) سؤال الأخلاق، مصدر سابق، ص ١٤.

(٣) انظر: الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع، د. السيد محمد البدوي، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٠م ص٩٣.

(٤) محمد بن عبد الله دراز (..... .١٣٧٧هـ/..... - ١٩٥٨م) فقيه متأدب مصري أزهري . كان من هيئة كبار العلماء بالأزهر ، له كتب ، منها (الدين . ط) و (دراسة تمهيدية لتاريخ الأديان) . أنظر ، الأعلام لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين (بيروت) ط١٥ مايو ٢٠٠٢م ، ج٦ ص٢٤٦.

(٥) دستور الأخلاق في القرآن، مصدر سابق، ص٦١.

به الإنسان بمقتضى المشاركة في أصل النسب الواحد للبشرية، وهو آدم عليه السلام امتثالاً لأمر الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾(١). جاء في تفسير الجواهر الحسان: " الآية فيها حضٌّ على التواصل لحرمة هذا النَّسَب، والمراد بالنَّفس آدم "(٢).

(٣)السبب الثالث: هو البحث عن مصدر التكليف أو الإلزام الأخلاقي(٣) عند الإنسان فارتقاء القيم الأخلاقية فوق الرغبات واللذات الذاتية النفعية للإنسان تكشف ضرورة وجود عامل إلزامي وتكليفي له في فعل الخير دون أن يستحسن أو يستهجن النتائج المترتبة على سلوكه الأخلاقي، خاصة وأنه مهيأٌ نفسياً لفعل كلٍ من الخير والشر، وذلك على النحو الذي أخبر به القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾(٤)، **والسؤال الذي يطرح نفسه هنا:** ما الذي يُلزم الإنسان بفعل الخير في ذاته من وجهة نظر كانط؟

---

(١) النساء، الآية (١).

(٢) تفسير الجرواهر الحسان للثعالبي، تحقيق: علي محمد معوض، دار إحياء التراث العربي (بيروت . لبنان)، ط١ ١٩٩٧م/ ١٤١٨هـ، ج٢ ص١٥٩.

(٣) يقول د/ محمد عبد الله دراز رحمه الله عن أهمية الإلزام الأخلاقي: " يستند أي مذهب أخلاقى جدير بهذا الاسم . فى نهاية الأمر . إلى فكرة الإلزام L,obligation فهو القاعدة الأساسية، والمدار، والعنصر النووى الذى يدور حوله كل النظام الأخلاقى، والذى يؤدي فقده إلى سحق جوهر الحكمة العملية ذاته، وفناء ماهيتها، ذلك أنه إذا لم يعد هناك إلزام فلن تكون هناك مسؤولية، وإذا عُدمت المسؤولية فلا يمكن أن تعود العدالة، وحينئذ تتفشى الفوضى ويفسد النظام وتعم الهمجية، لا فى مجال الواقع فحسب، بل فى مجال القانون أيضا وطبقاً لما يسمى بالمبدأ الأخلاقى "، أنظر: دستور الأخلاق في القرآن، ص ٢١.

(٤) الشمس، الآيتان (٧،٨).

للإجابة عن هذا السؤال ذهب (كانط) بعدما نزع القيم الأخلاقية عن (الدين) وفتر قوته الإلزامية في الفعل الأخلاقي إلى ابتكار فكرة (الواجب)[١]، وذلك للتعبير عن الأمر المطلق الذي يُلزم جميع البشر بالقيم الأخلاقية، وهو الأمر الذي يرجع وجوده إلى كونية القيم الأخلاقية وفطريتها وتعلق نية الإنسان وإرادته بها، فالعلاقة بين العقل والإرادة الخيرة وكونية القيم الأخلاقية هي التي تخلق هذا (الواجب) عند جميع البشر في الكون كله تجاه القيم الأخلاقية.

لكنَّ مفهوم (الواجب) الذي ابتكره (إيمانويل كانط) يبدو في الحقيقة محاولةً منه لإقصاء البعد الإيماني الذي يخلقه الدين في تعلق إرادة الإنسان بفعل (الخير)، وهو الإيمان بالله . تعالى . كما جاء عن عقيدة الغربيين آنذاك، فقد جاء " أن الناس في الحضارة الغربية كانوا يعتقدون بوجود إله واحد، ومن ثَّم فقد كانوا ينظرون إلى وجود معيار أخلاقي مطلق على أنه أمر واضح بذاته "[٢]، وفي شأن هذه الحقيقة المتعلقة باستبدال إيمانويل كانط لمفاهيم الدين الأخلاقية بمفاهيم عقليةٍ صِرفةٍ، يقول د. طه عبدالرحمن[٣] : " إن واضع النظرية الأخلاقية يأخذ بدل المقولات المعهودة في الأخلاق الدينية مقولات أخلاقية مقابلة لها غير معهودة بنفس الاستخدام النظري في هذه الأخلاق، من ذلك على سبيل المثال فقد أخذ (كانط) مفهوم (العقل) بدل مفهوم (الإيمان)، ومفهوم (الإرادة الإنسانية) بدل مفهوم (الإرادة الإلهية)، ومفهوم (التشريع الإنساني للذات) بدل مفهوم (التشريع الإلهي للغير) "[٤] .

---

(١) لمزيد من التفصيل حول فكرة (الواجب) أنظر: دستور الأخلاق في القرآن، ص٢٦.

(٢) الفلسفة .. أنواعها ومشكلاتها، مصدر سابق، ص٢٦٧.

(٣) طه عبدالرحمن: تاريخ الميلاد(١٩٤٤م) فيلسوف مغربي متخصص في المنطق وفلسفة اللغة والأخلاق، ويعد أحد أبرز الفلاسفة المفكرين في مجال التداول الإسلامي العربي منذ بداية السبعينات من القرن العشرين، الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

(٤) سؤال الأخلاق، مصدر سابق ص ٣٩.

ويرجع الأمر في ذلك إلى أن (كانط) أراد انتزاع القيم الأخلاقية من (الدين) في ضوء التأثير بالعلاقة التفاعلية المادية بالكون التي كانت سائدةً في أوروبا آنذاك، فإنه " كما توصل علماء الكونيات الغربيين بعقولهم إلى صياغة قوانين العلوم الفلكية، كذلك أراد إيمانويل كانط تأسيس ذات المنهج في قانون أخلاق البشر "[١] فعنده " أن الإنسان الذي يمتنع عن جريمة السرقة وفقاً للقانون المُشرَّع لا يعد فعلاً خُلقياً، بينما الذي لا يسرق احتراماً لواجب العقل فهذا وحده يعد فاعلاً أخلاقياً، كما أن الفعل الذي صدر عنه يُعَدُّ بحقٍ فعلاً أخلاقياً "[٢].

وبذلك يتبيَّن كيف أنه في ضوء العلاقة التفاعلية المادية بين الإنسان والكون في الفكر الغربي الحديث، تزامناً مع تطور الدراسات الكونية الغربية الحديثة ووصول الأمر إلى إنكار الحقائق الغيبية المتعلقة بظواهر الكون، فقد ظهر الاتجاه إلى إنكار وجود صلة بين القيم الأخلاقية والقيم الإيمانية، وكان رائد هذا الاتجاه في الفكر الأخلاقي الغربي الحديث هو الفيلسوف الإلماني إيمانويل كانط الذي جعل من (العقل) مصدر الضمير الأخلاقي عند الإنسان من خلال مقاربته بين القانون الأخلاقي وقوانين الطبيعة، وذلك لاعتبارات كونية فطرية فيهما يستطيع (العقل الإنساني) الاهتداء إلى معرفتها دون الحاجة إلى الدين والتدين، فإنه كما يستطيع الإنسان الاهتداء إلى قوانين الطبيعة بعقله دون الحاجة إلى الدين، فكذلك لا يعد العقل بحاجة ـ كما يزعم كانط ـ إلى الدين لصياغة قانونه الأخلاقي، بل يكفي تعلق نية الإنسان وإرادته بالفعل الأخلاقي حسب ما يقتضيه منطق العقل.

وهل عقل الإنسان وإرادته إلا منحٌ إلهية له، وكانا سبباً في تمييزه عن عالم البهيمية حين نزوعه إلى فعل الخير، أو نزوعه إلى فعل الشر مدركاً عواقب فعله، فقد قرر

(١) الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع، مصدر سابق، ص٩٥ بتصرف.
(٢) فلسفة الأخلاق، مصدر سابق ص ٦٣.

الإسلام أن إرادة[١] الإنسان هي التي تثبت إنسانية قيمه الأخلاقية، فمفهوم (الإرادة) يعبر عن الملكات التي يتميز بها الإنسان عن عالم البهيمية، كملكة العقل والقدرة على الاختيار ، فإن (الخير) في الإنسان أمرٌ فطري كما هو (الشر) ، وبالإرادة يستطيع الإنسان تمييز الخير من الشر، وهو المنظور الإسلامي الذي كشف عنه القرآن الكريم في آيات منه، منها قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾[٢]، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾[٣]، وخاطب النبي ﷺ الإنسان في هذا الجانب الأخلاقي قائلاً ﷺ: (البِرُّ ما سَكَنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، وَالإِثْمُ ما لم تَسكُن إليه النفس ولم يطمئن إليه القلب وإن افتاك المُفتون)[٤]، وقال ﷺ: (البِرُّ حُسْنُ الخُلقِ، وَالإِثْمُ مَا حَاكَ في صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَن يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ)[٥].

وفي ضوء هذا المنظور الإسلامي لعلاقة الإرادة الإنسانية بالأخلاق قام الدكتور محمد عبدالله دراز رحمه الله بتصحيح مسار النظرية الأخلاقية بعودتها إلى رحاب (الدين)، مع بيان تحقيق التكاملية بين الشرع الإلهي وملكات الإنسان العقلية والوجدانية في التزام الفعل الأخلاقي، وذلك عن رغبةٍ منه ـ ـ في عدم الإقصاء التام لفكر (كانط)

---

(١) الإرادة الخيرة: هي استعداد المرء لبذل أفضل ما يطيق من جهد لفعل الخير. المعجم الفلسفي (مجمع اللغة العربية) ، مصدر سابق، ص٧.

(٢) القيامة، الآيتان (١٤،١٥).

(٣) الشمس، الآيتان (٧،٨).

(٤) رواه أحمد في مسنده، ١٩٤/٤، رقم (١٧٦٧١)، ج١٣ ص٤٧٩ وقال المحقق: إسناده صحيح . أنظر: المسند للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: حمزة أحمد الزين، دار الحديث (القاهرة)، ط١ ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

(٥) رواه الإمام مسلم، ك/ البر والصلة، ب/ تفسير البر والإثم، ٥/٤٥ ، حديث رقم (١٤) ٢٥٥٣ ج٨ ص١٧ ، إكمال المعلم بفوائد مسلم، للإمام الحافظ أبي الفضل عياض، تحقيق: د.يحيي إسماعيل، دار الوفاء (القاهرة)، ط١ ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

الأخلاقي؛ إذ خطاب الشرع الإسلامي موجه في الأساس إلى العقل، فيقول ~ : " في هذه الظروف نستطيع أن نقول مع (كانط): إننا مشرعون ورعايا في آنٍ، وإن التجربة الأخلاقية للندم لتؤكد هذا الازدواج، فنحن عندما نقصر في واجبنا نحس أننا هبطنا إلى مسوى غير خليق بنا، ونعترف ضمنا بأننا مخلوق نبيل قد زل، ولا يزال القرآن يوقظ فينا هذا الشعور بكرامتنا الأصلية، ويؤصله، فهو لا يقرر فقط أن الله كرَّم الإنسان وبسط سلطانه على الأرض وعلى البحار ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[1]، ولم يقتصر فضل الله سبحانه على أن أمر الملائكة أن تسجد أمام أبينا: قال تعالى:﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ﴾[2]، وهي درجة رفيعة كثيراً ما يذكرنا القرآن الكريم بها في مثل قوله تعالى:﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ﴾[3]، ليس هذا فحسب، ولكنا إذا ما نحينا جانباً تلك الإشارات الخارجية إلى الكرامة الإنسانية، وإذا ما وقفنا أمام القيمة الأخلاقية فإنه يبدو لنا أن القرآن الكريم لا ينظر إلى الطبيعة الإنسانية على أنها شريرة في أصلها، ولا على أنها فاسدة فساداً عضالاً، بل على العكس من ذلك: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[4] ، ولم يهلك من الناس بعد هذا سوى الجاحدين، والذين لا يؤدون شعائر دينهم: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[5]، وفي آية أخرى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾[6]، ولم يهلك إلا

(١) الإسراء، الآية (٧٠).
(٢) البقرة، الآية (٣٤).
(٣) الأعراف، الآية (١١).
(٤) التين، الآية (٤).
(٥) التين، الآيتان (٥،٦).
(٦) الأعراف، الآية (١٧٩).

الذين:﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ﴾ (١).

فالأمر إذن أمر اختيار حر دنيوي يرجع إلى استخدامنا الحسن أو السيء لملكاتنا العليا، وهي ملكات يزكي تثقيفها النفس كما يدسيها ويطمسها إهمالها : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾(٢) "(٣).

وهذا يعني أن الإنسان لا يمكنه الاحتكام إلى (عقله) وحده في أفعاله الأخلاقية؛ لأن الإنسان يقع بعقله في التباين بين مواقفه، فيصيب أحياناً ويخطيْ أخرى، وينسى ويتذكر إلى غير ذلك من أفعال العقل البشري، كذلك تتباين الضمائر الأخلاقية عند البشر عند احتكامهم إلى عقولهم، ولذلك فإن الإنسان بحاجة دوماً إلى مقومٍ خارجٍ عنه وأعلى منه يُهذب أخلاقه إذا خاب بنفسه فدساها، وهذا المقومُ هو الشرع الإلهي، " فالعقل السوي هو الذي يؤدي إلى النور الفطري، وهذا النور الفطري يؤدي بدوره إلى تكاملية الشرع والعقل معاً "(٤)، ومن ثم فعلى الإنسان الاحتكام إلى نداء الفطرة والعقل والشرع الإلهي في الإلزام الأخلاقي . قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾(٥).

---

(١) المعارج، الآيات (١٢:٩).

(٢) الشمس، الآيتان (١٠،٩).

(٣) دستور الأخلاق في القرآن، مصدر سابق ص٢٨،٢٩.

(٤) المصدر نفسه، ص٣٥،٣٦ بتصرف شديد.

(٥) سورة العصر.

ثانيا: المنطلق الذاتي النفعي(١)

إنه في ضوء احتدام النزعة المادية في العلاقة التفاعلية بين الإنسان والطبيعة لا يُعرِّفُ أصحاب الاتجاه الذاتي القيم الأخلاقية بأنها السلوك الذي ينبغي على الإنسان أن يفعله دون النظر إلى النتائج الواقعية المترتبة عليه، سيئة كانت أم حسنة، بل إنهم ينظرون إليها من منظور الأمر الواقعي الذي لابد وحتماً أن يترتب على وقوعه تحصيل المنفعة المادية للإنسان، أو إشباع حاجة نفسية له، فالأخلاق عندهم نسبية ولا توجد لها أية معايير حاكمة تسمو بها فوق النتائج، فالقيم الأخلاقية - عندهم - هي التي تشبع حاجة الإنسان وتشعره بالرضا النفسي، فهم يقولون " نحن نصف أي شيء يرضي أو يشبع حاجة من حاجاتنا، أو يساعد على تحقيق مصلحة لنا، بأنه (خير) أو (قيم) أو (مرغوب فيه) "(٢).

كما أن القيم عند أصحاب هذا الاتجاه تكون مرهونة بتجارب الفرد التي تُمكِّن من الحكم على الشيء بأنه خير، ففي تصورهم " أن كل أحكامنا التقويمية لا تعبر فقط عن تفضيل شخصي، وإنما تمثل تفضيلاً مرهونا باللحظة وحدها، ومعرضاً للتغير دون سابق إنذار. وإن أي (خير) إنما هو بالضرورة تجربة لفرد ما "(٣).

وبناءً عليه فإن أتباع هذا الاتجاه الذاتي في الأخلاق يحررون الإنسان من البعد الكوني للقيم الأخلاقية على نحو ما ذهب (كانط)، بل " إن فكرتهم ترمي . كما قال د. عبدالله دراز إلى الإلغاء الكامل لمبدأ الإلزام الأخلاقي، ومعها الأخلاق نفسها "(٤)؛ إذ " إن (الخير) صار نسبياً تبعاً لما يشعر به الفرد أنه صواب، وأن كل فعل أخلاقي تعد

---

(١) مذهب النفعية: " هى القول بأن المنفعة مبدأ جميع القيم علميةً كانت أو عمليةً، وأن الأخلاق النفعية يجب أن تبنى على التجربة "، يُنظر: المعجم الفلسفى ، د/ جميل صليبا ، ج٢ ص٤٩٩ بتصرف.

(٢) الفلسفة.. أنواعها ومشكلاتها، ص ٢٦٢ .

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٦٤.

(٤) دستور الأخلاق في القرآن، ص ١١٨.

قيمته نسبية تبعاً للزمان والمكان، كما أنها تتوقف على طبيعة النوع البشري وحاجات الكائن العضوي الفردي "[١].

وقد صارت هذه النزعة الذاتية النفعية في الأخلاق أساس مذهب (النفعية البراجماتية)[٢] في الأخلاق، " فإنه نظراً للارتباط الوثيق بين (مذهب النفعية) والمذهب البراجماتي، فقد نشأت فكرة مؤداها أن أساس الأخلاق هي (المنفعة) ، وأن المفيد مادياً هو الخير، وأن الشيء الضار هو الشر، وعليه فإن المنفعة الذاتية العاجلة هى معيار التمييز بين الحق والباطل، والخير والشر هو تحقيق (المنفعة)، وهذا بطبيعة الحال يؤدى إلى عدم ثبات الأخلاق وتغييرها وفق ما تحققه من نتائج مرضية؛ إذ (القضية الحقة هى التى يستتبع تسليمها نتائج مرضية)[٣] "[٤]، وهكذا تحولت الأخلاق فى نظر هؤلاء النفعيين إلى مجرد أنماط سلوكية تحقق نفعاً دنيوياً مادياً دون النظر إلى طبيعتها، خيراً كانت أم شراً، فضائل كانت أم رذائل.

ثالثا: منظور الاتجاه التطوري الداروينى لعلاقة الإنسان بالقيم الأخلاقية

إن مادية العلاقة التفاعلية بين الإنسان الغربي والطبيعة بلغت ذروتها مع تقدم الدراسات البيولوجية، خاصةً مع ظهور نظرية التطور الداروينية، وكان لهذه النظرية الأثر الكبير في تغيير مسار الفكر الأخلاقي الغربي الحديث، فقد تعمق أصحابها في تفكيك القيم الأخلاقية عن طريق إدخالها حيز الدراسات العلمية في الطبيعية؛ حيث

---

(١) الفلسفة .. أنواعها ومشكلاتها، ، ص ٢٧٠.

(٢) البراجماتية: " اسم مشتق من اللفظ اليونانى براجما Pragma)) ، ومعناه العمل، وهى مذهب فلسفى يقرر أن العقل لا يبلغ غايته إلا إذا قاد صاحبه إلى العمل الناجح، فالفكرة الصحيحة هى الفكرة الناجحة ، أي الفكرة التى تحققها التجربة، فكل ما يتحقق بالفعل فهو حق، ولا يقاس صدق القضية إلا بنتائجها العملية "، أنظر: المعجم الفلسفي، د/ جميل صليبا، ج١ ص٢٠٣.

(٣) تاريخ الفلسفة الحديثة، د. يوسف كرم، مصدر سابق ص٤٥٩.

(٤) الشبهات الاستشراقية في إصدارات سلسلة عالم المعرفة الكويتية في الفترة ما بين (٢٠٠٣.٢٠١٢م) دراسة تحليلية، مصطفى عبدالكريم إبراهيم، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية أصول الدين والدعوة . جامعة الأزهر فرع الزقازيق، للعام الجامعي ٢٠١٧/ ٢٠١٨م ، ص٣٠١.

يتصورون أن القيم الأخلاقية نشأت في الإنسان نشأة تطور بيولوجي، " إنها جميعا نتيجة للظروف الاجتماعية ـ الطبيعية التي يتفاعل معها الإنسان "[١]، وعليه ستخضع كل القيم الأخلاقية لمباديء الانتقاء والصراع من أجل البقاء حسب قواعد هذه النظرية.

فلقد صاغ التطوريون نظريتهم الأخلاقية في ضوء أسس نظريتهم في التطور البيولوجي للإنسان والكائنات الحية، لذا قرروا أن الأخلاق نشأت وتطورت في الإنسان من حيث نشأ وتطور بيولوجياً، كما تنبطق على الأخلاق كافة قواعد نظرية التطور، من قاعدة الصراع من أجل البقاء، وكذلك قاعدة الانتخاب الطبيعي الوراثي من أجل التكيف مع الحياة، " فنظرية (داروين) قد شرحت للاصطفاء الطبيعي عملية التطور وعللت أساس الوظائف المتكيفة لكنها أدخلت إلى فكر علماء الحياة وعلماء النفس عنصراً آخر لمشكلة القيم؛ إذ إن القيم الإنسانية - من وجهة نظرهم - تنشأ عن الاصطفاء الطبيعي الذي يحدد الفارق بين صلاحية الأكثر وظيفة ولياقة الأقل وظيفة، وبين أشكال السلوك الأنسب (الأفضل) والأسوأ "[٢].

وبناءً عليه فقد انطلقت نظريتهم الأخلاقية بدأً من تفسير (السلوك الاجتماعي) عند الإنسان الذي أخذ مراحل في التطور الطبيعي، فهم يرون أن السلوك الاجتماعي سلوك قيمي غريزي في الحيوانات، وهذا السلوك القيمي قد ظهر في الإنسان من الجانب الحيواني فيه، لكن هذا السلوك الاجتماعي لم يكن يظهر في الإنسان كذلك دون تطور بيولوجي انتقل بالإنسان من حالة الأنا الفردية إلى الأنا الاجتماعية، فالسلوك الاجتماعي سلوك قيمي ظهر في الإنسان في سياق صراعه من أجل البقاء قياساً على السلوك الاجتماعي عند الكائنات الحية، " فالصراع غير المنتهي من أجل البقاء هو العامل المهم الذي قرَّب بين الحياة الانفرادية لبعض الحيوانات كالنسر من جهة، والاعتماد على الجماعة عند الحيوانات الاجتماعية كالنحل والنمل من جهة أخرى . وبالنسبة للأخير

(١) التطور والنسبية في الأخلاق، مصدر سابق، ص١٦.

(٢) البيولوجيا ومصير الإنسان، سعيد محمد الحفار، إصدارات المجلس الوطني للثقافة والمعرفة (الكويت)، عدد (٣٨)، نوفمبر ١٩٨٤م، ص١٩٠.

نجد كما يُلاحظ أن الفرد منها يخلص إخلاصاً منقطع النظير للجماعة لدرجة أن يموت من أجل الصراع "[١].

وبناء على قياس صراع الإنسان من أجل البقاء على صراع الحيوانات، تقرر النظر للقيم الأخلاقية فيه من خلال جانبه الحيواني، " فالإنسان مثل بعض الحيوانات العليا حيوان اجتماعي ومصلحته تقوم في علاقاته مع الآخرين، في حبه وكرهه، في فرحه وحزنه، في خضوعه ورفضه، فهذه صفات ورثها عن الحيوان في جزئه الحيواني "[٢] ، وعليه فإنه يمكن القول بأنه توجد ثلاث منظورات ترسم ملامح القيم الأخلاقية في الفكر التطوري الداروينى، وهي:

١. **الأول**: هو ذلك المنظور التطوري البيولوجي للإنسان، والذي يرى أصحابه أن القيم الأخلاقية لن تنعم بشيء من الثبات في أي مجتمع إنساني؛ إذ لا زال الإنسان ـ في زعمهم ـ خاضعاً من المنظور البيولوجي لقوانين التطور، " فقد قاموا بتعريف الإنسان بأنه الحيوان الذي لم يتحدد بعد "[٣].
٢. **الثاني**: هو ذلك المنظور الذي ينظر أصحابه للقيم الأخلاقية في الإنسان من خلال الجانب الحيواني فيه، وعليه تقرر عندهم أن القيم الأخلاقية تنمو في الإنسان من هذا الجانب الحيواني فيه، والذي ينزع به إلى السلوك الاجتماعي.
٣. **الثالث**: هو ذلك المنظور الذي يرى أصحابه أن القيم الأخلاقية مجرد سلوكيات تخضع لعملية الانتقاء الطبيعي في دائرة صراع الكائنات الحية من أجل البقاء، وبطبيعة الحال سينتقي الإنسان أفعاله السلوكية المناسبة لمبدأ الصراع في الحياة لأجل البقاء.

---

(١) التطور والنسبية في الأخلاق، مصدر سابق ص٨.

(٢) المصدر نفسه، ص٩، ١٠.

(٣) النقاشات الفلسفية القارّية المعاصرة حول مسألة مستقبل الإنسان ومسألة القيم في عصر الثورة البيو ـ تقنية، محمد الشيخ، مجلة التفاهم (وزارة الأوقاف والشئون الدينية / سلطنة عمان ـ مسقط) عدد (٦٣) ٢٠١٩م/١٤٤٠هـ، ص ١٥٤.

المطلب الثالث: أثر اتجاهات الفكر الأخلاقي الغربي في الواقع المعاصر في ضوء مادية علاقته التفاعلية بالكون.

لقد تبيَّن كيف أن التأملات الكونية عند اليونانيين القدماء، والتي أطلق عليها مؤرخو هذا الفكر مجازاً فلسفة (الإلهيات) هي التي على أساسها تم إرساء مذاهب المعرفة العقلية والتجريبية في الفكر الغربي الحديث، وبناء عليه صارت (القيم الأخلاقية) فرعاً معرفياً منبثقاً عن هذه المذاهب، فلطالما باتت القيم الأخلاقية في الفكر الغربي مرتبطة بنوع المعرفة، وخضعت لتوجهات كل نوع منها، وكل فرع ناشيء عنها، وابتكر العقل الأخلاقي الغربي مفهومي (الأنا الاجتماعية) للتعبير عن دور المجتمع الأخلاقي، و (الأنا الفردية) لتصور الأخلاق على أنها هي ما يرغب فيه الإنسان على نحو ذاتي، بينما تجرد الإنسان الغربي من أية قيم أخلاقية تربطه بخالق الأرض والسماء، وهو الله سبحانه وتعالى، لأنه لم يعد هناك مجال ثقافي قيمي يربطه به، فلم تتجاوز صلته بالكون والبشر القيم النفعية المادية؛ لأن علاقته التفاعلية بالكون باتت - في أغلب اتجاهاتها - مقيدة بالتفكير المادي، ومن هنا صارت الثقافة الغربية الحديثة تجاه (القيم) محكومة بالنفعية الذاتية، والسيطرة على الطبيعة، هذا مع ضعف الأثر السلوكي لفكرة (الواجب) الأخلاقي عند إيمانويل كانط؛ لأنها جعلت الواجب الأخلاقي من قبيل التفكير المنطقي، والسلوك اللأخلاقي من قبيل التفكير اللامنطقي، ومعلومٌ أن عقول البشر تتفاوت في هذا الجانب[1] بقدرة الله - تعالى - وعليه يمكن تحديد أثر هذه الاتجاهات على النحو التالي:

(١) تفكيك القيم الأخلاقية بتفكيك مبدأ الواجب الأخلاقي.

لقد تبين أن مبدأ (الواجب الأخلاقي) هو مبدأ ديني في الأساس، وقد أدت مادية العلاقة التفاعلية بين الإنسان والكون في الفكر الغربي إلى ربط القيم الأخلاقية بالعلم، وليس بالإيمان بالله - تعالى - ، فالفكر المادي الحديث في أوروبا قام بتفكيك مبدأ (الواجب الأخلاقي) بصورة كلية بدْأً من عند فكر كانط الأخلاقي اللاديني، ثم تبعه الترويج لقيم

(١) لمزيد أنظر: دستور الأخلاق في القرآن، ص ٥٨،٥٧ .

النفعية المادية . وربط الأخلاق نظرياً بالعلم التجريبي جعل الإنسان المعاصر عملياً في حاجة مستمرة إلى إنتاج القيم الأخلاقية التي تتناسب مع حاجاته الذاتية، " وباتت نزعة الأنا النفعية هي محور تفكير الإنسان وسلوكه في العالم الغربي، وأن كل منفعة يمكن للذات أن تتحصلها من شيء ما هي مشروعة مشروعية مطلقة، وإن تعارضت مع القانون والأخلاق والمصالح العامة؛ إذ الأخلاق النفعية الذرائعية تبيح كل شيء في سبيل إشباع النهم الشخصي، فالنزعة الأخلاقية النفعية تذهب بالذات إلى حدودها المطلقة العدمية (أي أنا، وبعدي فليأت الطوفان) "[١] .

وعن آثار تفشي القيم النفعية الذاتية في الفكر الغربي الحديث من اختلاق الحروب العالمية وما نتج عنها من دمار على المستويين الإنساني والبيئي يقول برتراند راسل[٢]: " إن هيكل القيم والأفكار المسبقة قد انهار كله بقيام الحرب العالمية الأولى (١٩١٤.١٩١٨م)، فعلى الرغم من ازدياد الوعي القومي خلال القرن التاسع عشر فإن الاختلافات بين الدول لم تخف حدتها وأدى ذلك خلال فترة الحرب هذه إلى إغراق العالم في بحر من الدماء لم يُعرف له حتى ذلك الحين مثيلٌ، واقترن بهذه الكارثة انهيارٌ للثقة في التقدم ونموٍ لجوٍ من الشك والارتياب لم يفق منه العالم تماماً حتى وقتنا هذا"[٣].

(١) القيم والمتغيرات الإستراتيجية، مصدر سابق، ص٣٢٨.

(٢) برتراند راسل (أرثر وليام) : (١٨٧٢. ١٩٧٠م) بريطاني من أسرة عريقة ، كان جده رئيس وزراء الملكة فيكتوريا ، ومات أبرواه وهو في الثالثة من عمره ، وكفلته جدته ، وكانت منكرة للتثليث وألوهية المسيح ، وكانت له تجربة شبه دينية ، وانغمس في السياسة وهو لم يزل حدثاً ، وراسل في مسائل الدين يسمي نفسه لا أدريا، وأحيانا أخرى منكراً . أنظر، موسوعة الفلسفة والفلاسفة ، د. عبدالمنعم الحفني ، مصدر سابق ص٦٤٧.

(٣) حكمة الغرب، مصدر سابق ج٢ ص ٢١٤.

وفي ذات السياق " قال عالم الأحياء الفرنسي (رينيه دوبوس Rene Dubois)[١]: العلم يتهم اليوم بتهديم القيم الأخلاقية والدينية والفلسفية دون أن يجد بدائل لها توجه السلوك وتقدم تصورا معقولاً ذا قيمة بالنسبة للكون .. ولن تستطيع الإنسانية المتقدمة في نطاق البيولوجيا تغيير أساليبتا ما لم نتبين أخلاقا وقيما اجتماعية جديدة .. ومهما كان شكل هذه القيم يجب أن تكون مبنية على تناسق وانسجام بين الإنسان والطبيعة بدل الميل المتهور المندفع نحو الإخضاع والسيطرة .... حقا إن الحضارة التي تسمح للعلم بتحطيم القيم المتعارف عليها .. ولا تثق بقوة العلم في خلق قيم جديدة .. تدمر نفسها بنفسها "[٢].

وفي وصف مشكلات الواقع الإنساني والاجتماعي الحاصلة نتيجة ما يشهده الواقع المعاصر من تحولات في القيم الأخلاقية يقول رشيد جرمومي[٣]: " إن الدراسات

---

(١) دوبو، رينيه جول (١٩٠١ .١٩٨٢م)، عالم أحياء فرنسي؛ حيث مولده، متخصص في علم الأحياء الدقيقة . كان رائداً في الكشف عن المواد المضادة للجراثيم، وهي نوع من أنواع الأدوية . استخرج دوبو في عام ١٩٣٩م التيروتريسين . أول منتج تجاري من نوع المواد المضادة للجراثيم . من أحد العناصر التي تكونها بكتيريا التربة، ودفع عمله سائر الباحثين لتطوير مادة البنسلين والإستربتومايسين.
وكتب دوبو أبحاثاً عن علاقة الإنسان بالبيئة الطبيعية والاجتماعية، واقتسم في عام ١٩٦٩م جائزة بوليتزر لعمله غير القصصي الذي أصدره في عام ١٩٦٨م بعنوان (كم هو إنساني الحيوان) . وأمضى دوبو حياته المهنية العلمية بالكامل في معهد رو كفلر للأبحاث الطبية، والذي أعيد تسميته فيما بعد جامعة رو كفلر، وأصبح دوبو عام ١٩٣٨م مواطناً أمريكياً. أنظر: الموسوعة العربية العالمية، مصدر سابق ج١٠ ص٤٣٦.

(٢) البيولوجيا ومصير الإنسان، مصدر سابق ص٢٠٤.

(٣) رشيد جرموني: باحث مغربي، حاصل على الدكتوراه في علم الاجتماع . جامعة محمد الخامس الرباط . يعمل أستاذا في كلية الآداب والعلوم الإنسانية . جامعة مولاي إسماعيل، مكناس ، نشر العديد من الدراسات في مجلات وطنية وعربية ، ومن أعماله الفكرية: (سوسيولوجيا الدين والجدل الإبستمولوجي)، (الدين والهجرة: تحديات ورهانات). الموسوعة الحرة ، ويكبيديا.

الاستقصائية حول المشكلات الناجمة عن التحولات في (القيم) بينت إلى أي حد يوجد تهديدات حقيقية تطال كل الأنساق والمرجعيات والمسلَّمات . ويمكن توضيح ذلك من خلال النقاط التالية:

١. ضعف الإلتزام في التعاطي مع المرجعيات الدينية والقيم الأخلاقية.
٢. تفشي النزعة التشكيكية (الإلحادية) في المقدسات والثوابت الدينية.
٣. تشكل وعيٍ عُنْفي حدّي يقيم قطيعة مع ثقافة المجتمع وقيمه وأخلاقه "[١] .

إن الإنسان عند التطوريين هو نتاج مادة الطبيعة فقط، وعليه فالأخلاق وراثة بيولوجية فيه، وقد التقى هؤلاء مع النفعيين في نظرتهم للقيم الأخلاقية فباتت كلها وجهات نظر مادية جرَّدت النظرية الأخلاقية من الواجب الإلزامي، لتصبح الأخلاق عندهم خاضعة لفكر الانتقاء الطبيعي الذي يفرضه صراع البشر من أجل البقاء في الحياة، والوصول إلى قمة سلم التطور والترقي الحضاري المادي، والإنسان والكون معاً هما المتحملان لتبعات أثر هذا السياق الحضاري الأوروبي الحديث، ذلك السياق الذي " وضع فيه الإنسان الأوروبي نفسه في مركز الكون، ووضع بقية البشر مع الطبيعة (المادة) في الهامش، وبدلاً من أن يكون الهدف من الوجود في الكون هو تحقيق مصلحة الإنسان بوجه عام، أصبح الهدف هو تحقيق مصلحة الإنسان الأبيض (الأوروبي) بوجه خاص، وبدلاً من الإيمان بأسبقية الإنسان على الطبيعة أصبح الإيمان بأسبيقة الإنسان الأبيض على الطبيعة وعلى بقية البشر، لذلك كان الغزو الاستعماري هو وسيلة السيطرة والاستغلال للطبيعة المادية وللمادة البشرية الموجودة عليها، أي بقية شعوب العالم "[٢]، فهذه هي بعض ملامح الأثر الحضاري الأوروبي الناجم عن تفكيك القيم الأخلاقية الدينية إثّرَ تفكيك مبدأ الواجب الأخلاقي، وذلك في تباعات مادية العلاقة التفاعلية بين الإنسان

(١) القيم الخلقية والدينية وإشكاليات الإطلاق والنسبية في المجال العالمي، رشيد جرموني، مجلة التفاهم (وزارة الأوقاف والشئون الدينية / سلطنة عمان . مسقط)، عدد (٦٤) ٢٠١٩م/١٤٤٠هـ ، ص٢٣٣.
(٢) الحضارة الرأسمالية الغربية انهيار بعد إبهار، د. حامد محمود مرسي، دار الطلائع للنشر والتوزيع (القاهرة)، ط١ ٢٠٠٩م ، ص٢٨،٢٩.

الغربي والكون، تلك العلاقة التي تم تجريدُها تماماً من الإيمان بالله - تعالى - ، مع انقطاع الصلة بين الأخلاق والدين.

(٢)تأسيس علم أخلاقيات البيئة

تُعرف البيئة بأنها : " هي كل ما يحيط بالإنسان ويؤثر فيه تأثيراً كبيراً أو قليلاً كالظواهر الطبيعة "[١] ، وقد وصل علماء الفيزياء الكونية في مطلع القرن العشرين إلى أن بداية وجود الكون تعود إلى ما بين ١٠ و٢٠ مليارات من السنين، ومع ما رصده هؤلاء العلماء من مظاهر التهيأة المعدة لحياة البشر على كوكب الأرض انطلقوا إلى القول بأن هذا الكون أخذ يتهيأ منذ مليارات السنين منتظراً المخلوق الذي سيحيا فيه، وهو (الإنسان)[٢]، وهي الحقيقة التي بينها القرآن الكريم الذي نزل على النبي ﷺ في القرن السابع الميلادي، أي منذ أربعة عشر قرن من الزمان، ومن دلائل ذلك:

١. جعلها قراراً للخلق، قال تعالى:﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾[٣].

٢. تقدير البركة فيها وتوفير أقوات العباد وأرزاقهم، قال تعالى: ﴿وَبَـٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾[٤].

٣. جعلها فرشاً، قال تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَـٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَـٰهِدُونَ﴾[٥].

---

(١) الأخلاق النظرية، د.عبدالرحمن بدوي، وكالة المطبوعات بالكويت، ط١ ١٩٧٥م، ص٩.

(٢) انظر: العلم في منظوره الجديد، تأليف: روبرت م . أغروس . جورج ن . ستانسيو، ترجمة: د. كمال خلايلي، إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون . الكويت ، عدد (١٣٤) ، فبراير ١٩٨٩م، ص٩ بتصرف.

(٣) غافر، الآية (٦٤).

(٤) فصلت، الآيتان (٩،١٠).

(٥) الذاريات، الآية (٤٨).

٤. بسطها للخلق، قال تعالى:﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ بِسَاطٗا ۝ لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا﴾[١] .

جاء في تفسير البحر المحيط: " قوله ﴿بِسَاطًا﴾ أي تتقلبون عليها كما يتقلب الرجل على بساطه "[٢]، ما يعني أن الأرض مهيأة لمعايش الخلق في الدنيا بقدرة الله - تعالى - لكن الإنسان خرق ضوابط التفاعل الحياتي مع هذا الكوكب المهيأ لمعيشته وحياته، من هنا ظهر الفساد فيه براً وبحراً، وهي الحقيقة الكونية التي أشار إليها قول الله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾[٣]، غير أن الإنسان الغربي في العصر الحديث قد تجاوز حدود قيمه الثقافية الدينية التي يجب أن تسير علاقته التفاعلية بالكون، ومن هنا جاء الدمار الكوني والبيئي، بل وزادت حدة هذا الدمار نتيجة الأفكار النفعية المادية المقترنة بالعلم الحديث الذي يرى البعض " أنه سيحدد مصير البشرية سلبا أو إيجابا؛ إذ تعيش البشرية في خوف دائم من أن تدمر حياتها وحضارتها حرب نووية أو بيولوجية تعتمد اعتمادا كليا على العلم "[٤].

ومن منطلق رصد هذا الواقع البيئي " أجمع الفلاسفة والمفكرون على أن السلوك الإنساني المتسم بالعنف واللاوعي تجاه عالم الطبيعة والكائنات الحية هو ما فرض واقعاً بيئياً مليء بالكوارث؛ مثل: ارتفاع نسبة التلوث العالمي، الذي أدى . بدوره . إلى انقراض العديد من الأنواع النباتية والحيوانية، والإخلال بالتوازن البيئي، إضافة إلى الاحتباس

(١) نوح، الآيتان (١٩،٢٠).
(٢) تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية (بيروت . لبنان) ط١ ١٩٩٣م/١٤١٣هـ، ج٨ ص٣٣٤.
(٣) الروم، الآية (٤١).
(٤) التفكير العلمي، د.فؤاد زكريا، إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب . الكويت، عدد(٥٠١) ديسمبر ٢٠٢٢م، ص١٧٦.

الحراري الذي أدى إلى ارتفاع درجة حرارة الأرض بما يهدد بذوبان القطبين: الشمالي والجنوبي، وإغراق مساحات كبيرة من الكرة الأرضية، ومن ثمَّ دمار وفناء الكائنات الحية الإنسانية وغير الإنسانية "[١].

ولحل مشكلات هذا الفساد الظاهر في الواقع البيئي نتيجة سلوكيات الإنسان، انطلق هؤلاء المفكرون إلى تأسيس فكر أخلاقي بالبيئة، تحت مسمى (أخلاقيات البيئة)، وتُعرف بأنها: " هي دراسة للعلاقات الأخلاقية التي تنشأ بسبب تفاعل البشر مع العالم الطبيعي، فمهمتها هي تسليط الضوء على المباديء الأخلاقية التي تحكم هذه العلاقات، والتي تحدد واجباتنا والتزاماتنا ومسؤوليتنا تجاه البيئة، وتجاه كل الكائنات الحية التي تقطن هذه البيئة"[٢].

لكن من عجيب الأمر أن مقترحات هؤلاء الباحثين لمواجهة مشكلات البيئة أخلاقياً تم بناؤها على أساس تذكير الإنسان بانتمائه لعالم الحيوان في ضوء المنظور التطوري الداروينى، فإنهم نظرا لما رصدوه من أن سبب الفساد البيئي في الواقع المعاصر هو التصور الديني لمركزية الإنسان في الأرض في الكون، فقد عمل هؤلاء على تفكيك هذه المركزية من خلال تذكير الإنسان بالعامل الوراثي الحيواني التطوري فيه، ليدرك بذلك الإنسان أنه عضو . يتكامل مع سائر أفراد النظام الحيوي في الطبيعة، وأنه لا يتمايز عن أعضائها من الكائنات الحية، " إذ تؤكد نظرية التطور على أن الإنسان هو نتاج لتطور بيولوجي طويل بدأ من الكائنات وحيدة الخلية، حتى وصل إلى الإنسان، ومن ثم فلا يوجد سبب لتعالي الإنسان على باقي الأنواع، فأصلنا - [حسب زعمهم] - مشترك، ولولا الأصول لما وجدت الفروع. كذلك فإن الإنسان هو الذي يدين بالفضل في وجود هذه الأنواع الأولى التي تطور عنها "[٣] ، وهذا يعني أن نظرية التطور التي أرست

(١) أزمة البيئة والتحديات الأخلاقية العالمية المعاصرة، وجدي خيري نسيم، مجلة التفاهم (وزارة الأوقاف والشئون الدينية / سلطنة عمان . مسقط) عدد (٦٣) ٢٠١٩م/١٤٤٠هـ. ،ص ١٨٩.١٩٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٩٣.

(٣) المصدر نفسه ، ص٢١١.

مباديء الصراع بين الكائنات الحية من أجل البقاء، فضلاً عن إرسائها نظاماً أخلاقياً يقوم على انتقاء السلوك حسب متطلبات الواقع المادي النفعي هي ذاتها التي يعود إليها علماء أخلاقيات البيئة الغربيين لرفع شعار التكامل أخلاقياً بين الإنسان والبيئة.

وبناءً على ذلك يمكن القول بأن علم أخلاقيات البيئة من منظوره الغربي يزيد من دائرة التفكير المادي عند الإنسان؛ حيث يغفل هذا الأخير روح التدبر في الحكمة الإلهية من قيم التسخير النفعي له بهذه الطبيعة، وإدراك العناية الإلهية له ولهذا الكون، ذلك الإدراك الإيماني الذي يخلق لديه قوة إلزامية لفعل (الخير) في هذا الكون، استجابة للأمر الإلهي في قوله تعالى: ﴿وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[١]، وقوله تعالى:﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾[٢] فتجنب الإنسان محاولة فهم الغاية من خلق الكون وإدراك العناية الإلهية له لتوثيق صلته بالخالق سبحانه وتعالى هو ما يدفع به إلى الارتماء في أحضان النفعية المادية، والتخلي عن قيم وأخلاق دينه ومجتمعه، ولذلك نجد الوحي القرآني يكسر دائما حاجز التفكير المادي (الأرضي) عند الإنسان بأن يدعوه دوما إلى فتح آفاق نظره وتفكيره في عالم الكون، من ذلك قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾[٣]، وقال تعالى:﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ﴾[٤].

(١) الحج، الآية (٧٧).
(٢) التغابن، الآية (١٦).
(٣) يونس، الآية (١٠١).
(٤) الروم، الآية (٥٠).

المبحث الثاني: القيم الأخلاقية في ضوء العلاقة التفاعلية بين الإنسان والكون من منظور القرآن الكريم.

مدخل:

إن الأصل في النظرية الأخلاقية الإسلامية ألا يفصل الإنسان نظرته التحليلية لمصدر قيمه الأخلاقية عن فهم معادلة الوجود التي تجمع بينه وبين الكون، فالقيم بفروعها الثلاثة (الحق والخير والجمال) هي الطرف الثالث في معادلة التناسق والتناغم بين الإنسان والكون، تلك المعادلة التي أكد الواقع تلازم أطرافها، وهو ذلك التلازم الذي يؤدي شرعاً وعقلاً إلى الإيمان بالله الواحد سبحانه وتعالى خالق الكون والإنسان، وشاهد ذلك أمور ثلاثة:

- **أولها:** أن مشكلات النظرية الأخلاقية الغربية التي تم رصدها في الواقع المعاصر إنما نشأت في سياق التفسير المادي للعلاقة التفاعلية بين الإنسان والكون، ومن ثمَّ تغليب التفكير المادي في الأخلاق من منطلق تغليب التفكير المادي في العقائد، وتلك معضلة فكرية لم يكن لها وجود في تاريخ الفكر الأخلاقي الإسلامي.
- **ثانيها:** أن الأثر التفاعلي بين الكون والإنسان أمرٌ له شواهده في القرآن، أبرزها قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾(١).
- **ثالثها:** هي تلك الآثار السلبية في الواقع المعاصر التي نجمت في الكون والحياة الإنسانية على السواء نتيجة تغليب الاتجاهات المادية والنفعية في القيم الأخلاقية.

وهذه الشواهد الثلاث تدفع إلى وجوب تصحيح مفاهيم العقل الغربي حول ركائز العلاقة التفاعلية بين الإنسان والكون وأثرها في الفكر الأخلاقي، وذلك وفق ما يرشد إليه القرآن الكريم الذي جعله الله . تعالى . مهيمناً على جميع ما أنزل من وحي إلهي، قال

(١) الروم، الآية (٤١).

تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾[1]، وهذا التصحيح المفاهيمي يأتي بيانه في المطلبين التاليين:

المطلب الأول: صلة الإنسان بالطبيعة وعالم الغيب وأثرهذه الصلة في نشأة القيم الأخلاقية.

لقد خلق الله الإنسان ووضعه بوضوح أمام المحددات التي تحدد ماهية وجوده كإنسان في هذا العالم، له حقوق وعليه واجبات؛ حيث إنه بنعمة الوجود قد صار أحد مخلوقات الله تعالى بعدما كان شيئاً غير مذكور، وهي نعمة تستوجب الشكر لصانعها، وهو الله سبحانه وتعالى؛ إذ لا يستطيع الإنسان إنكار نعمة ترجيح وجوده على عدمه، أو كتمان مشاعره الغريزية المحبة للحياة على الموت، ولذلك نجده يجتهد في معرفة من هو؟ وما هو مصدر وجوده في هذا العالم؟ وكيف خُلق؟. وقد خاب ظنه إذا اعتقد أنه خُلق ليُترك سدى في هذا العالم، بل خُلق لغايةٍ عظيمة، قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾[2]، فالإنسان كما لا يمكنه إنكار نعمة ترجيح وجوده على عدمه، فهو كذلك لا يمكنه . في الأصل . ترجيح فوضى الوجود وعبث الحياة عن معرفة الغاية الحقيقية من وجوده، ومن هنا يسعى لمعرفة تلك الغاية؟ وإلى أين المنتهى والمصير؟.

وهي كلها تساؤلات عملت الفلسفات المادية على أن تجعل الإنسان يتجاوز معرفة أجوبتها، بمحاولة اعتقاده أنه فقط ينتمي لعالم المادة المحسوسة الخاضعة للعلم التجريبي، وأنه هو الذي يحدد ماهية وجوده في الكون كيفما شاء، ولا ريب أن هذا الاتجاه المادي نتائجه معروفة، وهي أنه لن يعرف الإنسان طريق خالقه سبحانه وتعالى، بل إنه رغم بديع صنعه - تعالى - في كونه سيظل في حالة من الفوضى الفكرية التي تحول دون معرفته الغاية الحقيقية من وجوده، وكذلك لن يعرف محددات علاقته بالله تعالى ولا بعالم

(١) المائدة، الآية (٤٨).
(٢) القيامة، الآية (٣٦).

الغيب والملكوت، ولن يستقر على ضوابط أخلاقية تنظم علاقته التفاعلية بينه وبين سائر الخلق في الكون من حوله، ولا أين المنتهى والمصير.

وقد رسم القرآن الكريم للإنسان الطريق الذي يصل من خلاله إلى معرفة أجوبة هذه التساؤلات، و هو طريقٌ تتضح ملامحه في أمرين:

- **الأمر الأول**: الوضوح والمكاشفة من الوحي الإلهي في أن الحياة سرٌ لم يطلع عليه أحد من الخلق، وتلك كانت مشكلة الماديين مع الله -تعالى -، فهم حينما قالوا بأزلية (المادة) إنما أرادو أن يحددوا لأنفسهم نقطة بدايةٍ جدليةٍ مع الله . تعالى . حول وجودهم، تكون خاليةً تماماً من الاعتراف بالعجز عن إدراك السر في كيفية بدأ الحياة فيهم، وذلك امتثالاً لقوله تعالى:﴿ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلۡمُضِلِّينَ عَضُدٗا ﴾(١).
- **الأمر الثاني**: دعوة القرآن الكريم الإنسان المؤمن للانطلاق في حوار مع الله -تعالى- حول معرفة أسرار الخلق وبداية النشأة من النقطة التي حددها له الوحي الإلهي، والتي تتمثل في الآتي:

١. احتفاء عالم الملكوت بخلق الإنسان الأول آدم عليه السلام، قال تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ٧١ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ٧٢ فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ ٧٣﴾ (٢).

تحقيق التكامل بين عالم العلم والمعرفة وعالم الملكوت؛ حيث تَلَقي فيه آدم عليه السلام علم أسماء الأشياء، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣١﴾(٣)، جاء في البحر المحيط: " لما أخبر

(١) الكهف، الآية (٥١).
(٢) ص، الآيات (٧١،٧٣).
(٣) البقرة، الآية (٣١).

تعالى الملائكة عن وجه الحكمة في خلق آدم وذريته على سبيل الإجمال أراد أن يفصل فبيَّن لهم من فضل آدم عليه السلام ما لم يكن معلوماً لهم، وذلك بأن علمه الأسماء ليظهر فضله وقصورهم عنه في العلم، فتأكد الجواب الإجمالي بالتفضيل "[١].

٢. ميثاق الإيمان الفطري بالله تعالى المأخوذ على جميع بني آدم، قال تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾[٢].

والحقيقة التي أدركها بعض علماء الأحياء الغربيين مؤخراً في مطلع القرن العشرين عند إبطالهم دعوى الماديين (بأزلية المادة) هي أن الإنسان مكون من جوهرين، جسدٌ فانٍ وروح لا يعتريها الفناء[٣]، والإنسان الموضوعي في التفكير هو الذي يشعر في أعماق فكره ووجدانه أنه بشقيه المادي والروحي موصول بعالم الغيب، إذ العالم الكوني المشهود من حوله خاضع لمنافعه بقدرة الله تعالى، وهذه التفاعلية بين الإنسان والكون أظهرها القرآن الكريم في كثير من آياته في صورة قانون (التسخير)، من ذلك:

- قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[٤].
- وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ﴾[٥].

---

(١) تفسير البحر المحيط، مصدر سابق، ج١ ص٢٩٤.
(٢) الأعراف، الآية (١٧٢).
(٣) العلم في منظوره الجديد، مصدر سابق ص ٩ بتصرف.
(٤) النحل، الآية (١٢).
(٥) لقمان، الآية (٢٠).

جاء في محاسن التأويل للقاسمي: " قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: من النجوم والشمس والقمر، التي ينتفعون من ضيائها وما تؤثره في الحيوان والنبات والجماد بقدرته . تعالى . . وكذا من الأمطار والسحب والكوائن العلوية التي خلقها الله تعالى لنفع من سُخرت له. وكذا ما أوجد في الأرض من قرار وأشجار وأنهار وزروع وثمار ليستعملها من سخرت له فيما فيه حياته وراحته وسعادته "[1].

ثم إن إدراك الإنسان لواقعية هذا التسخير الكوني إنما هو نتيجة اصطفاء الله تعالى له من بين سائر الخلق لحمل أمانة التكليف[2]، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَنُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[3]، (فالأمانة) الواردة في الآية الكريمة هي في جوهرها نشاط عقل الإنسان وروحه ووجدانه في الحياة بالتأمل والتفكر في الكون المؤديان إلى الإيمان بالله تعالى؛ لأن الحياة الإنسانية قائمة في هذا الكون بالعناية الإلهية، لذلك جعل القرآن الكريم قانون (التسخير) هذا قانوناً معلناً للبشرية جميعاً، ليدركوا أنهم لا يعيشون في عالم لا غاية من وجودهم فيه، أو أنه عالم قائم دون عناية إلهية له، وكان كيفية إعلام البشر بهذا القانون هو تحقيق منفعتهم بما في هذا الكون؛ إذ إن ظواهره في الحقيقة مسخرة لأمر الله - تعالى - وقدرته سبحانه وتعالى، وبخضوعها لأمر الله - تعالى - تتحقق منفعة

(١) تفسير محاسن التأويل للقاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب العربية، ط١ ١٣٧٦/١٩٥٧ هـ، ص٤٨٠٤.

(٢) التكليف: من كلَّفَ يُكَلِّفُ تَكلِيفاً، (لغة) كلف فلاناً بالأمر: فرضه عليه وقد يراد منه التفويض . و(إصطلاحاً) التكليف: هو الإلزام بأحكام الله تعالى، والمكلف هو الملزم بها مع تحقق شرائط التكليف وهي البلوغ والعقل والقدرة، أنظر: المعجم الشامل للمصطلحات العلمية والدينية، إبراهيم حسين سرور، دار الهادي (بيروت . لبنان) ط١ ٢٠٠٨م/ ١٤٢٩هـ، ص٨٩.

(٣) الأحزاب، الآية (٧٢).

الخلق منها، ومن هنا تأخذ عقيدة الإنسان أنه خليفة الله في الأرض مسارها الصحيح في الوجود، ويتحقق فيه قول الله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[1].

ومن هذا المنطلق ساق الفكر الإسلامي مفهوم (الاستخلاف) تأكيداً منه على أن الدين جزء من ماهية الإنسان ووجوده، وهي الحقيقة التي أكدها العلماء من أن الدين قرين وجود الإنسان، وهذا الاقتران مستتبع بالقيم الأخلاقية، يقول طه عبدالرحمن: " ومتي صح وجود هذا الاقتران بين الدين والإنسان في الأصل، فإنه يكون من العبث الشك في أن ملكات الإنسان قد أشربت بالروح الدينية إلى حد بعيد، حتى إنه لا يكاد يصدر عن هذه الملكات فعل من الأفعال يخلو من أثر قريب أو بعيد لهذه الروح، والأخلاق إنما هي أول الأفعال التي تصدر عن ملكات الإنسان، فتكون أكثر من غيرها تغلغلاً في الحقيقة الدينية، بحيث لا مجال للانفكاك عنها "[2].

وهذه الملكات التي تصدر عنها أفعال الإنسان بما فيها أفعاله الأخلاقية هي في الحقيقة ثمرة (الأمانة) التي تحملها باختياره عن السماوات والأرض والجبال كما ورد في الآية الكريمة؛ إذ بها تستقيم معرفته بمسؤولياته العقدية والتشريعية والأخلاقية التي جاء بها الوحي المنزل من عالم الغيب غير المشهود على الأنبياء والمرسلين، ولذلك نجد (الكون) هو أوُّل مصادر إعمال عقله فيه بالنظر والاستدلال على قضايا الدين العقدية نزولاً على دعوة القرآن الكريم، لتذكرهُ علاقته التفاعلية هذه مع الكون بالأمانة التي تحملها عنه، لقوله تعالى:﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[3]، فإنه بمقتضى هذه (الأمانة) نجد ظواهر الكون تتفاعل مع الإنسان، وحينئذ يكتسب العلم بظواهرها الطبيعية المؤدي إلى معرفة الخالقسبحانه وتعالى، فضلاً عن إيمانه الفطري: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى

(١) البقرة، الآية (٣٠).
(٢) سؤال الأخلاق، مصدر سابق ص٢٥.
(٣) الأحزاب، الآية (٧٢).

فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ﴾[1]، وبتصحيح مسار المعرفة تستقيم للإنسان معرفته لمسؤولياته العقدية والتشريعية والأخلاقية.

جاء في تفسير روح المعاني للآلوسي عند تفسير قول الله تعالى:﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ ..... الآية﴾ : " لما بيَّن جل شأنه عِظَمِ شأن طاعته سبحانه وطاعة ورسوله ببيان مآل الخارجين عنها من العذاب الأليم ومنال المراعين لها من الفوز العظيم عقَّب ذلك ببيان عِظَمِ شأن ما يوجبها من التكاليف الشرعية وصعوبة أمرها بطريق التمثيل مع الإيذان بأن ما صدر عنهم من الطاعة وتركها صدر عنهم بعد القبول والالتزام من غير جبر هناك ولا إبرام، وعبر عنها بالأمانة وهي في الأصل مصدر كالأمن والأمان تنبيهاً على أنها حقوق مرعية أودعها الله. تعالى. المكلفين وائتمنهم عليها وأوجب عليهم تلقيها بحسن الطاعة والانقياد وأمرهم بمراعاتها والمحافظة عليها وأدائها من غير إخلال بشيء من حقوقها "[2].

وهذا يعني أن مفهوم (الأمانة) الوارد في هذه الآية الكريمة يُحتم على الإنسان ضرورة تهيئته كافة ملكاته التي منحه الله تعالى إياها لأداء حق هذه (الأمانة)، والتي تتكشف بها جوهر العلاقة التكاملية بين العقل والوحي في القرآن الكريم، إذ العمل بمقتضى التكاليف الشرعية هو الانتفاع الحقيقي بكافة قوى الإدراك التي منحها الله عز وجل للإنسان ليصل بها إلى معرفة الحقائق التي تؤدي به إلى سلامة النتيجة، كأن ينتفع انتفاعاً حقيقياً بعقله، وبصره وسمعه ...إلخ، حتى لا يكون شبيهاً بالأنعام، ولا أن يدرك خطأه إلا في دار الحساب، كما أشار إليه قول الله. تعالى. حكاية عن أهل النار . : ﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[3].

---

(١) الروم، الآية (٣٠).

(٢) تفسير روح المعاني للآلوسي ، دار إحياء التراث العربي (بيروت . لبنان) د ط، ج٢٢ ص٩٦.

(٣) الملك، الآية (١٠).

ومن هنا يظهر اكتمال دور العقل مع الوحي الإلهي في وضع مبدأ الإلزام الأخلاقي عند البشر، " فالوحي الإلهي هو المصدر أولاً وأخيراً، ولا تكون أوامره وأحكامه ملزمةٌ، بل لا نعرف معناها الخلقي إلا (بالعقل) المفطور على معرفة الله تعالى والمزود بشعور الإيمان به "[(١)]، وتبدو صورة هذا الاكتمال في حرص الوحي الإلهي على تحقيق غايةٍ كبرى، وهي إنسانية المجتمع، فالقرآن والسنَّة يقدمان منظومةً قيميةً تجعل الإنسان إيجابيًا ومتوازنًا عقلاً ووجداناً ومتوافقًا مع نفسه ومجتمعه والبيئة من حوله، كما أنها تدفعه نحو التوجه لفعل البر والخير والعدل والإحسان، وهذا بطبيعة الحال ينعكس على سلامة المجتمع ويحقق تماسكه وأمنه ووقايته من الأنانية والنفعية وفوضى اللاإلزام اللأخلاقي، من ذلك قوله تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ﴾[(٢)]. وقال تعالى:﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾[(٣)]، وبشأن دور المجتمع في التوجيه الأخلاقي، قال تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾[(٤)] ، وفي جانب الجزاء الأخروي على انتهاج السلوك اللأخلاقي قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۞ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ۞ فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ۞ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ

(١) مقومات الإسلام، د. أحمد الطيب، إصدار ملحق بمجلة الأزهر الشريف، شوال ١٤٤٢هـ/ يونيه ٢٠٢١م، ج١٠ السنة ٩٤، ص٢٧١.

(٢) النحل، الآية (٩٠).

(٣) الأعراف، الآية (١٩٩).

(٤) سورة العصر.

مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ۞ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾[1]. وقال تعالى:﴿تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾[2].

وبناءً على ما سبق يمكن القول بأن الإيمان بالله -تعالى- يمثل قمة هرم السلوك الأخلاقي للإنسان في الحياة، الضلع الأول فيه: علاقة الإنسان في نفسه بربه . سبحانه وتعالى . ، يليه الضلع الثاني: وهو علاقته بالناس، وفيهما قال النبي ﷺ: " اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن "[3] ، وأما الضلع الثالث: فهو علاقة الإنسان بالبيئة من حوله، وهو ذلك الجانب الأخلاقي الجمالي الذي يبيَّنه قول النبي ﷺ: " ما من مسلمٍ يغرسُ غرساً، أو يزرعُ زرعاً فيأكلُ منه طيرٌ أو إنسانٌ أو بهيمةٌ إلا كان له به صدقة "[4].

(١) النازعات، الآيات (٣٧:٤١).

(٢) القصص، الآية (٨٣).

(٣) رواه الإمام الترمذي، ك/ البر والصلة، ب/ ما جاء في معاشرة الناس، ٢٨/٥٥، حديث رقم (١٩٨٧)، ج٤، ص٣٥٥، وقال أبو عيسى الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) رواه الإمام البخاري، ك/ الحرث والمزارعة، ب/ فضل الزرع والغرس، ٤١/١، حديث رقم (٢٣٢٠) ج٢ ص١٥٢، الجامع الصحيح، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، المطبعة السلفية (القاهرة) ١٤٠٣هـ.

المطلب الثاني: أثر المنطلق الإيماني لمظاهر التفاعل الكوني في قصص القرآن الكريم وعلاقته بالقيم الأخلاقية

إن القصص القرآني تاريخ واقعي له أحداثه وشخصياته، وهو من الغيبيات الحاضرة في القرآن الكريم من الأزمنة الغابرة التي قصها الوحي الإلهي على النبي ﷺ، وذلك لحكمٍ جليلةٍ ومقاصد عظيمةٍ، منها: العبرة والعظة، لقوله تعالى:﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾(١)، ومنها: إزالة غفلة البشرية عن الصورة الواقعية لهذا القصص بعيداً عن المصادر التي اختلطت فيها أحداث هذا القصص بالخرافات والأساطير، لقوله تعالى:﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾(٢)، يقول الإمام الطبري: يقول جل ثناؤه لنبيه محمد ﷺ :﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ بوحينا إليك هذا القرآنَ، فنُخْبِرُك فيه عن الأخبار الماضيةِ، وأنباء الأمم السالفة، والكُتُبِ التي أنزلناها في العصور الخالية﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ﴾ ، يقول تعالى ذكره: وإن كنتَ يا محمدُ من قبلِ أن نوحيه إليك﴿لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ عن ذلك لا تعلمُه ولا شيئاً منه "(٣) .

هذا وقد برز في القصة القرآنية عنصر استخدام الآيات الكونية والإنسانية كشواهد دالة على الخالق سبحانه وتعالى ووحدانيته، ولذلك كان المنهج الدعوي الحسي(٤)، أحد مناهج الدعوة إلى الله تعالى في دعوات الأنبياء والمرسلين، وخلافاً لما قام عليه المنهج

---

(١) يوسف ، الآية (١١١).

(٢) يوسف، الآية (٣).

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام محمد بن جرير الطبري، تحقيق/ عبدالله المحسن التركي، دار هجر (القاهرة) ط١ ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، ج١٣ ص٧.

(٤) لمنهج الدعوي الحسي: هو مجموعة الأساليب الدعوية التي ترتكز على الحواس، وتعتمد على المشاهدات والتجارب، أنظر: المدخل إلى علم الدعوة لمحمد أبو الفتح البيانوني، مؤسسة الرسالة (بيروت)، ط٣ ١٩٩٥م/١٤١٥هـ، ص٢١٤.

العلمي الغربي في الاهتمام فقط بتفسير كيفية نشأة ظواهر الكون، دون الاهتمام بالبحث في الغاية المرتبطة ببيان هذا الكيف .كما تبين آنفا . ، وهو إدراك العناية الإلهية للخلق، وما يلزم عن هذا الإدراك من العبودية لله تعالى، . فقد جمع المنهج الدعوي الحسي في القرآن الكريم بين الأمرين معاً:

- فدليل الدعوة إلى البحث في (الكيف)، أي كيف خلق الله الخلق، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾[1].
- أما دليل الدعوة إلى البحث في (الغاية) من خلق الله تعالى للمخلوقات، وإدراك عنايته سبحانه وتعالى لهم، فمنه قوله تعالى:﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾[2].

جاء في تفسير الكشاف: " ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ أي: وما سوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من أصناف الخلائق مشحونة بضروب البدائع والعجائب، كما تسوّى الجبابرة سقوفهم وفرشهم وسائر زخارفهم للهو واللعب؛ وإنما سويناها للفوائد الدينية والحكم الربانية؛ لتكون مطارح افتكار واعتبار واستدلال ونظر لعبادنا، مع ما يتعلق لهم بها من المنافع التي لا تعد والمرافق التي لا تحصى "[3].

- أما دليل الدعوة إلى البحث في الكيف والغاية معاً فقد جاء شاهده في موضعٍ قرآنيٍ جمع بين الدعوة إلى النظر والاستدلال في آيات الله الكونية، والدعوة إلى الاعتبار

---

(١) لغاشية، الآيات (١٧: ٢٠).

(٢) لأنبياء، الآية (١٦).

(٣) تفسير الكشاف لأبي القاسم جارالله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، مكتبة العبيكان، ط١ ١٩٩٨م/١٤١٨هـ، ج٤ ص١٣٣.

والعظة بهلاك الأمم السابقة غير المؤمنة بالله تعالى، قال تعالى ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾(١).

جاء في تفسير أبو السعود: " قوله ﴿ٱلۡأٓيَٰتُ﴾ هي التي عبر عنها بقوله تعالى: ﴿مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ و ﴿وَٱلنُّذُرُ﴾ أي: لا تنفع الآيات الرسل المنذرون"(٢)، فهذه الآية الكريمة قد أوجزت تفاعل ظواهر الكون من السماوات والأرض مع أحداث الدعوة إلى الله تعالى؛ حيث كانت آياتهما سبباً في هلاك الجاحدين، في حين أن الأنبياء كانوا قد أخذوها مدخلاً لدعوة الناس إلى الله . تعالى . ، ومع ذلك لم تغن عنهم شيئاً ، وهذه المظاهر التفاعلية الكونية أجملها قول الله تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٤٠﴾ (٣)، وقال تعالى متهكماً على هؤلاء الجاحدين للدعوة: ﴿فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ﴾(٤).

ولا يخفى ما في ذلك من تأكيدٍ على أهمية البحث في الغاية من خلق الإنسان والكون، وليس الاقتصار فقط على البحث في الكيف كما هو حال الإنسان الغربي في علاقته التفاعلية بالكون، وذلك لتتعلق إرادة الإنسان بإرادة خالقه سبحانه وتعالى في هذا

(١) يونس، الآية (١٠١).
(٢) تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود، دار إحياء التراث العربي (بيروت . لبنان)، د ط، ج٥ ص ١٩٣.
(٣) العنكبوت، الآية (٤٠).
(٤) الدخان، الآية (٢٩).

الكون في فعل الخير امتثالاً لقوله تعالى:﴿وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾(١).

فإنه من خلال قصص الأنبياء يظهر للبشرية تلازم الجانبين العقدي والأخلاقي في الدعوة إلى الله تعالى، وأن الكون متفاعلٌ مع هذا التلازم، فمعادلة الوجود في الحياة الدنيا أطرافها ثلاثة (الإنسان . القيم الإيمانية . الكون)، وغض الإنسان الطرف عن إدراك هذه التلازمية يؤدي به حتماً إلى الارتماء في أحضان المادية النفعية المهلكة للبشر وللطبيعة، وتكون النتيجة هي الموت لهذه الحضارة المادية، واندثار البشر المنكفئين عليها، ومن النماذج القرآنية الدالة على هذه الحقيقة، الآتي:

١. حرصُ نبي الله نوح عليه السلام على مدار تاريخ دعوته التي استمرت بنص القرآن الكريم ألف سنة إلا خمسين عاماً، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا﴾(٢) على تربية نشأٍ مؤمن صالح من أبناء المشركين، لكنه وصل إلى نتيجةٍ حكاها عنه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا﴾(٣).

٢. نبي الله صالح عليه السلام أخذ يُذكِّر قومه ثمود بنعم الله تعالى عليهم وإمدادهم بأسباب الحضارة المادية ورفاهية الحياة المناسبة لواقعهم التاريخي، وذلك فيما حكاه عنه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿أَتُتۡرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ * فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ * وَزُرُوعٖ وَنَخۡلٖ طَلۡعُهَا هَضِيمٞ * وَتَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا فَٰرِهِينَ * فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ* وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ *ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا

(١) الحج، الآية (٧٧).
(٢) العنكبوت، الآية (١٤).
(٣) نوح، الآية (٢٧).

يُصْلِحُونَ ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾(٢).

٣. قوم لوط حكى القرآن الكريم ما نهاهم عنه نبي الله لوط عليه السلام في قوله تعالى:﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ * إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾(٣).

وفي ضوء هذه الحقائق التاريخية حول قصص الأنبياء ومحورية القيم الأخلاقية في دعوتهم إلى الله -تعالى- يعكس د. طه عبدالرحمن هذا التلازم الكوني بين القيم الأخلاقية والدين حين قال: "بينما حقيقة الدين أنه أشبه بالمؤسسة منه بالنظرية، بل هو أصلاً مؤسسة؛ ومقتضى المؤسسة أن تكون مجموعة أحكام ومعايير تحدد كيفيات العمل من أجل تلبية حاجات معينة؛ وإذا كان الأمر كذلك لزم أن يتضمن الدين إلى جانب الأقوال التي تخبر عن الموجودات، حسية كانت أو غيبية، أقوالاً وجوبية - أو كَتْبية - تحدد العلاقات بين هذه الموجودات، جلبا للمنفعة ودفعاً للمضرة؛ والأقوال الوجوبية التي تجلب النفع وتدفع الضرر لا تكون إلا أقوالاً أخلاقية، فيلزم أن يكون الدين أخلاقياً بقدر ما هو إخباري "(٤).

(١) الشعراء، الآيات (١٤٦:١٥٢).
(٢) هود، الآية (٦١).
(٣) الأعراف، الآيتان (٨٠،٨١).
(٤) سؤال الأخلاق، ص٤٤.

وهنا تتجلى عظمة رسالة الإسلام في إتمام دعوات الأنبياء في جانبها الأخلاقي بقول النبي ﷺ: " بُعِثْتُ لأتمِّمَ حُسْنَ الأَخْلاقِ "[1]، فالدين هو الأخلاق، والأخلاق هي الدين؛ لأنها هي التي تُضفي على الإنسان القيمة الحقيقية لوجوده في هذا الكون حينما يتذكر أنه مستخلفٌ فيه من قِبَلِ خالقه وهو الله . تعالى .، وعليه فهو على النحو الذي يعتبره من قصص السابقين في القرآن الكريم يتمسك في بناء نموذجه الحضاري بالقيم الروحية والأخلاقية إلى جانب قيمه المادية.

فالإنسان الذي ينتحي السلوك النفعي المادي الحاصل على حساب ضرر الآخرين من البشر والطبيعة، لتوهُم اعتقاده أنه مستخلفٌ عن عالم البهيمية -كما يدعي التطوريون - ، إنه في الحقيقة لا ينتحي هذا السلوك نتيجة وراثته البيولوجية للأخلاق عن الحيوانات . حسب زعم التطوريين؛ إذ إن تصارع البشر في الحياة من أجل البقاء ليس ناتجاً عن نزوعهم الفطري المطلق نحو الصراع، بل بسبب الجانب السيء في فطرتهم؛ إذ النفس ملهمة ﴿فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾، ولذلك تحتاج النفس البشرية دوماً للتهذيب الأخلاقي حتى تنزع نحو الخير الأخلاقي بإلزامٍ حقيقي، وعامل التهذيب الأخلاقي هذا لا يمثله سوى (الدين)، والإيمان بالله تعالى .

(١) رواه الإمام مالك ، ك/ حسن الخلق ، ب/ ما جاء فى حسن الخلق ١/٤٧ حديث رقم (٨) وقال ابن عبد البر : هو حديث مدنى صحيح متصل من وجوه صحاح عن أبى هريرة وغيره . أنظر ، الموطأ للإمام مالك بن أنس، تحقيق/محمد فؤاد عبد الباقى، دار الحديث(القاهرة) ط٤ ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م ج٢ ص٦٩٠.

الخاتمة

أولا: أهم نتائج البحث:

في نهاية هذا البحث بحمد الله تعالى وتوفيقه توصلت إلى نتائج، من أهمها الآتي:

١. المسارُ الصحيح للعلاقة التفاعلية بين الإنسان والكون يؤدي إلى الإيمان بالله -تعالى- ، وإدراك عنايته سبحانه وتعالى بهذا الكون بما فيه من مخلوقاتٍ، وهو إدراكٌ يؤدي حتماً إلى أداء أمانة استحقاق العبادة لله وحده سبحانه وتعالى، لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات : ٥٦]، فعلاقة الإنسان التفاعلية بالكون لا تقتصر على الاهتمام بالكيف فقط، بل بالبحث في الغاية من خلقهِ كذلك، وهي أنه خُلِقَ ليعبد الله -تعالى- .

٢. القيم الأخلاقية من منظور الإسلام تؤدي إلى تكامل الإنسان مع نفسه ومع عالم الملكوت الذي احتفى به عند بداية خلق أبيه آدم عليه السلام، وليس الصراع في عالم مليء بالبشر الذين يعتقدون أنهم من سلالة الحيوانات كما يذهب الداروينيون.

٣. القيم الأخلاقية الإسلامية تنزع بالإنسان نحو التكامل الوجودي والحضاري مع كل شيء في الطبيعة، بينما تنزع القيم الأخلاقية النفعية الغربية بالإنسان نحو الصراع، وانتقاء السلوك الذي يُدِّرُ له نفعاً دون أن يحرص على درأ أيةُ مفسدة أو ضراً بالإنسان وبالبيئة.

٤. بينما تفقد القيم الأخلاقية الغربية هذا المصدر الإلزامي، ولذلك كانت عواقبها وخيمةً على المستوى الإنساني والبيئي.

٥. لا يمكن للبشرية أن تضع تصوراً أخلاقياً لحماية البيئة على أساس ارتماء الإنسان في أحضان نظرية التطور البيولوجي عن القردة والحيوانات كما يذهب التطوريون، أو بعيداً عن منطق التدبر في مخلوقات هذه الطبيعة؛ لأن منطق التدبر في الطبيعة يملؤ القلب خشية لله -تعالى- خالقها، وهذه الخشية هي التي تؤدي إلى إحجام النفس البشرية عن السعي في الفساد في الأرض، وتقي المجتمع الأنانية المفرطة، والنزعات

المادية الطائشة، وهذا البعد الحضاري والعمراني لقيم التوحيد الروحية والأخلاقية هو ما نجده في دعوات أنبياء الله -تعالى- في قصص القرآن الكريم .

ثانيا: توصيات البحث:

١. فتح آفاق جديدة من قبل الباحثين والدعاة في مجال الدراسات البيَّنيَّة بين العلوم الشرعية الإسلامية والعلوم الإنسانية بفروعها المختلفة، وذلك للاستمرار في تقديم محتوى تجديديٍ في الفكر الإسلامي (العقدي والتشريعي والأخلاقي)، وتشكيل حائط صدٍ من خلال هذه الدراسات في وجه محاولات التشوية المستمرة للإسلام ومصادر وحيه (القرآن والسنة)، وتراثه العلمي.

٢. تحلي الدعاة إلى الله - تعالى - بالصبر والدأب في التوظيف الجيد لكافة المناهج الدعوية، بهدف تشخيص الداء في الفكر الإنساني الغربي الحديث، بل والمعاصر كذلك الذي أقام قطيعةً تامة مع الدين في عصري الحداثة وما بعد الحداثة، سواء كانت هذه القطيعة تحت مظلة العلم التجريبي أم الإلحاد، هذا فضلاً عن أنه لم ينقطع بعدُ سيل مخاطر هذا الفكر على الحياة الإنسانية والطبيعة.

٣. إعداد برامج تثقيفية دعوية من شأنها حسن توجيه الباحثين لتطبيق منهج النظر والاستدلال في آيات القرآن الكريم الإنسانية والكونية، على أن تكون الخطوط العريضة لهذه الدراسات هي البحث في الكيف والغاية من هذه الآيات الكريمة.

٤. إعادة هيكلة المحتوى الأكاديمي في الكليات الشرعية لمادة الثقافة الإسلامية في ظل متغيرات الفكر الثقافي المعاصر والتطورات التكنولوجية.

هذا وأسأل الله عز وجل أن أكون قد وُفقتُ في هذا العمل، إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير، وهو نعم المولى ونعم النصير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

□

ثبْت المصادر والمراجع باللغة العربية

- القرآن الكريم.
- إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي، دار الشعب ، د ط.
- الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع، د. السيد محمد البدوي، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٠م .
- الأخلاق النظرية، د.عبدالرحمن بدوي، وكالة المطبوعات بالكويت، ط١ ١٩٧٥م.
- أزمة البيئة والتحديات الأخلاقية العالمية المعاصرة، وجدي خيري نسيم، مجلة التفاهم (وزارة الأوقاف والشئون الدينية / سلطنة عمان ـ مسقط) عدد (٦٣) ٢٠١٩م/١٤٤٠هـ.
- أساس البلاغة لأبي القاسم جارالله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط١ ١٩٩٨م/١٤١٩هـ.
- أصول البحث العلمي ومناهجه، د. أحمد بدر، الناشر وكالة المطبوعات (الكويت) ، ط٦ ١٩٨٢م .
- إكمال المعلم بفوائد مسلم، للإمام الحافظ أبي الفضل عياض، تحقيق: د.يحيى إسماعيل، دار الوفاء (القاهرة)، ط١ ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
- البحث العلمي ومناهجه، د.عبدالعزيز عبدالرحمن الربيعة، مطبعة الملك فهد الوطنية (الرياض)، ط٣ ٢٠٠٤م/١٤٢٤هـ .
- بناء الأجيال، د. عبدالكريم بكار، مجلة البيان (الرياض)، ط١ ٢٠٠٢م/١٤٢٣هـ.
- البيولوجيا ومصير الإنسان، سعيد محمد الحفار، إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت ، عدد (٣٨)، نوفمبر ١٩٨٤م.
- البيئة والإنسان عبر العصور، تأليف: إيان ج.سيمونز، ترجمة: السيد محمد عثمان، إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت ، عدد(٢٢٢) يونيو ١٩٩٧م.
- تاريخ الفلسفة الحديثة، د. يوسف كرم، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة) ط٢ ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.
- التطور والنسبية في الأخلاق، حسام محيي الدين الآلوسي، دار الطليعة (بيروت) ط١ ١٩٨٩م.
- التفاعلية في الإذاعة .. أشكالها ووسائها، خالد زعموم ـ السعيد بومعيزة، منشورات اتحاد إذاعات الدول العربية (تونس) ٢٠٠٧م .
- تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود، دار إحياء التراث العربي (بيروت ـ لبنان)، د ط.
- تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبدالموجود، دار الكتب العلمية (بيروت ـ لبنان) ط١ ١٩٩٣م/١٤١٣هـ.

- تفسير التحرير والتنوير للإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية (تونس) ط١ ١٩٨٤م.
- تفسير الجواهر الحسان للثعالبي، تحقيق: علي محمد معوض، دار إحياء التراث العربي (بيروت ـ لبنان)، ط١ ١٩٩٧م/ ١٤١٨هـ.
- تفسير روح المعاني للآلوسي ، دار إحياء التراث العربي (بيروت ـ لبنان) د ط.
- تفسير الكشاف لأبي القاسم جارالله محمد بن عمر بن أحمد الزمخشري، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود، مكتبة العبيكان، ط١ ١٩٩٨م/١٤١٨هـ.
- تفسير محاسن التأويل للقاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء الكتب العربية، ط١ ١٩٥٧م/١٣٧٦ هـ.
- تفسير مفاتيح الغيب للإمام الفخر الرازي، دار الفكر (لبنان ـ بيروت)، ط١ ١٩٨١م /١٤٠١هـ.
- التفكير العلمي، د.فؤاد زكريا، إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت، عدد (٥٠١) ديسمبر ٢٠٢٢م.
- تكوين العقل الحديث، تأليف: جون هرمان راندال، ترجمة: جورج طعمه، دار الثقافة (بيروت) د ت .
- تمهيد للفلسفة، د. محمود حمدي زقزوق، دار المعارف (القاهرة) ط٥ ١٩٩٤م.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام محمد بن جرير الطبري، تحقيق/ عبدالله المحسن التركي، دار هجر (القاهرة) ط١ ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
- الجامع الصحيح للإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، المطبعة السلفية (القاهرة) ١٤٠٣هـ.
- الجامع الصحيح للإمام أبي عيسى الترمذي، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، مطبعة مصطفى الباب الحلبي، ط٢ ١٩٦٨م/١٣٨٨هـ.
- حكمة الغرب (الفلسفة الحديثة والمعاصرة)، تأليف: برتراند راسل، ترجمة: فؤاد زكريا، إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت ، عدد (٧٢) ديسمبر ١٩٨٣م.
- الحكمة في مخلوقات الله للإمام أبي حامد الغزالي ، تحقيق: محمد رشيد قباني، دار إحياء العلوم (بيروت) ، ط١ ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .
- دستور الأخلاق في القرآن " دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن "، د/ محمد عبدالله دراز، تعريب: د/ عبدالصبور شاهين، مؤسسة الرسالة ـ دار البحوث العلمية ، د . ت .
- دعوى الأنسنة في الإسلام عند الدكتور محمد أركون عرض ونقد، د. مصطفى عبدالكريم إبراهيم، رسالة دكتوراه منشورة، دار نور اليقين (القاهرة) ط١ ١٤٤٥هـ/٢٠٢٤م.

- الدين في مواجهة العلم، وحيد الدين خان، دار النفائس (بيروت) ط٤ ١٤٠٧هـ /١٩٨٧م .
- سؤال الأخلاق، د. طه عبدالرحمن، المركز الثقافي العربي (بيروت ـ لبنان) ط١ ٢٠٠٠م.
- الشبهات الاستشراقية في إصدارات سلسلة عالم المعرفة الكويتية في الفترة ما بين (٢٠٠٣ـ٢٠١٢م) دراسة تحليلية، مصطفى عبدالكريم إبراهيم، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية أصول الدين والدعوة ـ جامعة الأزهر فرع الزقازيق.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل حمادة الجوهري، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين (بيروت)، ط٢ ١٩٧٩م.
- العلم في منظوره الجديد، تأليف: روبرت م . أغروس ـ جورج ن . ستانسيو، ترجمة: د. كمال خلايلي، إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت، عدد (١٣٤) ، فبراير ١٩٨٩م.
- عندما تغير العالم ـ تأليف: جيمس بيرك، ترجمة: ليلى الجبالى، إصدارات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ (الكويت)، عدد (١٨٥)، مايو ١٩٩٤م.
- قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن، نديم الجسر، إصدار ملحق بمجلة الأزهر، رمضان ١٤٤٣هـ/أبريل ٢٠٢٢م ج١٠ السنة ٩٥.
- القيم الخلقية والدينية وإشكاليات الإطلاق والنسبية في المجال العالمي، رشيد جرموني، مجلة التفاهم (وزارة الأوقاف والشئون الدينية / سلطنة عمان ـ مسقط)، عدد (٦٤) ٢٠١٩م/١٤٤٠هـ .
- القيم والمتغيرات الإستراتيجية، عبدالإله بلقزيز، مجلة التفاهم (وزارة الأوقاف والشئون الدينية / سلطنة عمان ـ مسقط)، عدد (٣٦)، ٢٠١٢م/١٤٣٣هـ.
- القيمة الأخلاقية، د/ عادل العوا، مطبعة جامعة دمشق، ١٩٦٠م/ ١٣٧٩هـ .
- فلسفة الأخلاق، د. مصطفى عبده، مكتبة مدبولي (القاهرة) ط٢ ١٩٩٩م.
- الفلسفة .. أنواعها ومشكلاتها، هنتر ميد، ترجمة: د. فؤاد زكريا، دار نهضة مصر، ط١ ١٩٦٩م.
- الفلسفة والإنسان، علي الشامي، دار الإنسانية (بيروت) ط١ ١٩٩١م.
- الفلسفة اليونانية .. تاريخها ومشكلاتها، أميرة حلمي مطر، دار قباء (القاهرة) ١٩٩٨م .
- فلسفتنا، محمد باقر الصدر، دار التعارف (بيروت) ، ط١٥ ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.
- لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين ابن منظور، دار صادر (بيروت) ط٦ ٢٠٠٨م .
- مدخل إلى الأدب التفاعلي، فاطمة البريكي، المركز الثقافي العربي (الدار البيضاء ـ المغرب)، ط١ ٢٠٠٦م.

- المدخل إلى علم الدعوة لمحمد أبو الفتح البيانوني، مؤسسة الرسالة (بيروت)، ط٣ ١٩٩٥م/١٤١٥هـ.
- المدخل إلى القيم الإسلامية، د. جابر قميحة، دار الكتاب المصري (القاهرة) / دار الكتاب اللبناني (بيروت)، ١٩٨٤م/ ١٤٠٤هـ .
- المرشد في كتابة الأبحاث، حلمي محمد فوده وعبدالرحمن صالح عبدالله، دار الشروق للنشر (جدة) ١٩٩١م/١٤١١هـ .
- المسند للإمام أحمد بن حنبل، شرح وتحقيق: أحمد محمد شاكر وحمزة أحمد الزين، دار الحديث (القاهرة)، ط١ ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
- المعجم الشامل للمصطلحات العلمية والدينية، إبراهيم حسين سرور، دار الهادي (بيروت ـ لبنان) ط١ ٢٠٠٨م/ ١٤٢٩هـ.
- المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، د.عبدالمنعم الحفني، مكتبة مدبولي (القاهرة) ط٣ ٢٠٠٠م.
- المعجم الفلسفي، د. جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني (بيروت)، ١٩٨٢م.
- المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية ـ الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية (القاهرة)، ١٩٨٣م/١٤٠٣هـ .
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية (القاهرة) ط٤ ٢٠٠٤م/ ١٤٢٥هـ.
- مفيد العلوم ومبيد الهموم، لجمال الدين أبي بكر الخوارزمي، دار التقدم (مصر) ١٩٠٦م/ ١٣٢٣هـ.
- مقومات الإسلام، د. أحمد الطيب، إصدار ملحق بمجلة الأزهر الشريف، شوال ١٤٤٢هـ/ يونيه ٢٠٢١م، ج١٠ السنة ٩٤.
- الملل والنحل لمحمد بن عبدالكريم الشهرستاني، الناشر مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع (القاهرة).
- الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع (الرياض) ط٢ ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
- موسوعة الفلسفة والفلاسفة، د. عبدالمنعم الحفني، مكتبة مدبولي (القاهرة) ط٣ ٢٠١٠م.
- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم لمحمد علي التهانوي، تحقيق: د. علي دحروج، ترجمة: د. عبدالله الخالدي، مكتبة لبنان ناشرون (بيروت ـ لبنان)، ط١ ١٩٩٦م .
- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، دار الندوة العالمية (الرياض) ط٥ ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
- الموطأ للإمام مالك بن أنس، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقى، دار الحديث (القاهرة) ط٤ ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م .

- النقاشات الفلسفية القارّية المعاصرة حول مسألة مستقبل الإنسان ومسألة القيم في عصر الثورة البيو ـ تقنية، محمد الشيخ، مجلة التفاهم (وزارة الأوقاف والشئون الدينية / سلطنة عمان ـ مسقط) عدد (٦٣) ٢٠١٩م/١٤٤٠هـ.

thabt almasadir walmarajie

•alquran alkarim.
•'iihya' eulum aldiyn lil'iimam 'abi hamid alghazaliu, dar alshaeb , d ta.
•al'akhlaq bayn alfalsafat waeilm aliajtimaea, du. alsayid muhamad albadwi, dar almaerifat aljamieiati, ٢٠٠٠m.
•al'akhlaq alnazariati, d.eabdalrahman badwi, wikalat almatbueat bialkuayti, ta١ ١٩٧٥m.
•'azamat albiyat waltahadiyat al'akhlaqiat alealamiat almueasirati, wajdi khayri nasim, majalat altafahum (wizarat al'awqaf walshuyuwn aldiyniat / saltanat euman masqat) eadad (٦٣) ٢٠١٩m/١٤٤٠h.
•'asas albalaghat li'abi alqasim jarallah mahmud bin eumar bin 'ahmad alzumakhshari, tahqiqu: muhamad basil euyun alsuwdu, dar alkutub aleilmia (birut), tu١ ١٩٩٨m/١٤١٩h.
•'usul albahth aleilmii wamanahijihu, du. 'ahmad badar, alnaashir wikalat almatbueat (alkuayta) , ta٦ ١٩٨٢m.
•al'aelam " qamus tarajim li'ashhur alrijal walnisa' walearab walmustaeribin walmustashriqina" likhayr aldiyn alzarkali, dar aleilm lilmalayin (birut) ta١٥ mayu ٢٠٠٢m.
•'iikmal almuealim bifawayid muslimin, lil'iimam alhafiz 'abi alfadl eayad, tahqiqi: du.yhiaa 'iismaeil, dar alwafa' (alqahirati), ta١ ١٤١٩h/١٩٩٨m.
•bina' al'ajyal, di. eabdalkarim bikar, majalat albayan (alriyad), ta١ ٢٠٠٢m/١٤٢٣h.
•albiwlujia wamasir al'iinsani, saeid muhamad alhafaar, 'iisdarat almajlis alwatanii lilthaqafat walfunun waladab alkuayt , eadad (٣٨), nufimbir ١٩٨٤m.
•albiyat wal'iinsan eabr aleusuri, talifu: 'iian ji.simunizi, tarjamatu: alsayid muhamad euthman, 'iisdarat almajlis alwatanii lilthaqafat walfunun waladab alkuayt , eadad(٢٢٢) yuniu ١٩٩٧m.

•tarikh alfalsafat alhadithati, du. yusuf karama, maktabat althaqafat aldiynia (alqahirati) tu٢ ١٤٣٤h/٢٠١٣m.
•altatawur walnisbiat fi al'akhlaqi, husam muhyi aldiyn alalusi, dar altaliea (birut) ta١ ١٩٨٩m.
•altafaeuliat fi al'iidhaea .. 'ashkaluha wawasayiha, khalid zaemum alsaeid bumeizat, manshurat aitihad 'iidhaeat alduwal alearabia (tunus) ٢٠٠٧m.
•tafsir 'iirshad aleaql alsalim 'iilaa mazaya alquran alkarim li'abi alsaeud, dar 'iihya' alturath alearabii (bayrut lubnanu), d ta.
•tafsir albahr almuhit li'abi hayaan al'andalsi, tahqiqu: alshaykh eadil 'ahmad eabdalmawjudi, dar alkutub aleilmia (bayrut lubnan) ta١ ١٩٩٣m/١٤١٣h.
•tafsir altahrir waltanwir lil'iimam alshaykh muhamad altaahir abn eashur, aldaar altuwnusia (tunus) ta١ ١٩٨٤m.
•tafsir aljamie li'ahkam alquran li'abi eabdallah muhamad bin 'ahmad alqurtubi, tahqiqu: da. eabdallah bin eabdalmuhsin alturki, muasasat alrisala (bayrut lubnan) ta١ ١٤٢٧h/٢٠٠٦m.
•tafsir aljawahir alhasaan lilthaealibi, tahqiqu: eali muhamad mueawad, dar 'iihya' alturath alearabii (bayrut lubnan), ta١ ١٩٩٧m/ ١٤١٨h.
•tafsir ruh almaeani lilalwsi , dar 'iihya' alturath alearabii (bayrut lubnan) d ta.
•tafsir alkashaf li'abi alqasim jarallah muhamad bin eumar bin 'ahmad alzumakhshiri, tahqiqu: eadil 'ahmad eabdalmawjudi, maktabat aleabikan, ta١ ١٩٩٨m/١٤١٨h.
•tafsir mahasin altaawil lilqasimi, tahqiqu: muhamad fuaad eabdalbaqi, dar 'iihya' alkutub alearabiati, ta١ ١٩٥٧m/١٣٧٦ hi.
•tafsir mafatih alghayb lil'iimam alfakhr alraazi, dar alfikr (lubnan bayrut), ta١ ١٩٨١m /١٤٠١h.
•altafkir aleilmiu, di.fuaad zakaria, 'iisdarat almajlis alwatanii lilthaqafat walfunun waladab alkuaytu, eadad (٥٠١) disambir ٢٠٢٢m.
•takwin aleaql alhadithi, talifu: jun hirman randal, tarjamatu: jurj taemahu, dar althaqafa (birut) d t.
•tamhid lilfalsafati, du. mahmud hamdi zaqzuqi, dar almaearif (alqahirati) tu٥ ١٩٩٤m.

•jamie albayan ean tawil ay alquran lil'iimam muhamad bin jarir altabri, tahqiqu/ eabdallah almuhsin alturki, dar hijr (alqahira) ta١ ١٤٢٢hi/ ٢٠٠١m.
•aljamie alsahih lil'iimam 'abi eabdallah muhamad bin 'iismaeil albukhari, tahqiqu: muhamad fuad eabdalbaqi, almatbaeat alsalafia (alqahirati) ١٤٠٣hi.
•aljamie alsahih lil'iimam 'abi eisaa altirmidhi, tahqiqu: muhamad fuad eabdalbaqi, matbaeat mustafaa albab alhalbi, ta٢ ١٩٦٨ma/١٣٨٨h.
•hikamat algharb (alfalsafat alhadithat walmueasaratu), talifu: birtrand rasil, tarjamatu: fuad zakaria, 'iisdarat almajlis alwatanii lilthaqafat walfunun waladab alkuayt , eadad (٧٢) disambir ١٩٨٣m.
•alhikmat fi makhluqat allah lil'iimam 'abi hamid alghazalii , tahqiqu: muhamad rashid qabaani, dar 'iihya' aleulum (birut) , ta١ ١٣٩٨h/١٩٧٨m.
•distur al'akhlaq fi alquran " dirasat muqaranat lil'akhlaq alnazariat fi alquran ", du/ muhamad eabdallah diraz, taerib: da/ eabdalsabur shahin, muasasat alrisalat dar albuhuth aleilmiat , d . t.
•daewaa al'ansanat fi al'iislam eind alduktur muhamad 'arkun eard wanuqda, du. mustafaa eabdalkarim 'iibrahim, risalat dukturah manshurata, dar nur alyaqin (alqahira) ta١ ١٤٤٥h/٢٠٢٤m.
•aldiyn fi muajahat aleilma, wahid aldiyn khan, dar alnafayis (birut) ta٤ ١٤٠٧h /١٩٨٧m.
•sual al'akhlaqi, da. tah eabdalrahman, almarkaz althaqafiu alearabiu (bayrut lubnan) ta١ ٢٠٠٠m.
•alshubhat aliastishraqiat fi 'iisdarat silsilat ealam almaerifat alkuaytiat fi alfatrat ma bayn (٢٠٠٣٢٠١٢ma) dirasat tahliliati, mustafaa eabdalkarim 'iibrahim, risalat majistir ghayr manshurt, kuliyat 'usul aldiyn waldaewat jamieat al'azhar fare alzaqaziq.
•alsihah taj allughat wasihah alearabiat, 'iismaeil hamadat aljawhari, tahqiqu: 'ahmad eabdalghufur eatar, dar aleilm lilmalayin (birut), tu٢ ١٩٧٩m.
•alealam fi manzurih aljadidi, talifi: rubirt m . 'aghrus jurj n . stansiu, tarjamatu: du. kamal khlayli, 'iisdarat almajlis alwatanii

lilthaqafat walfunun waladab alkuayti, eadad (١٣٤) , fibrayir ١٩٨٩m.
•eindama taghayar alealam talifi: jims birki, tarjamatu: laylaa aljabalaa, 'iisdarat almajlis alwatanii lilthaqafat walfunun waladab (alkuayti), eadad (١٨٥), mayu ١٩٩٤m.
•qisat al'iiman bayn alfalsafat waleilm walqurani, nadim aljasr, 'iisdar mulhaq bimajalat al'azhar, ramadan ١٤٤٣h/abril ٢٠٢٢m ji١٠ alsanat ٩٥.
•alqiam alkhuluqiat waldiyniat wa'iishkaliaat al'iitlaq walnisbiat fi almajal alealami, rashid jirmuni, majalat altafahum (wizarat al'awqaf walshuyuwn aldiyniat / saltanat euman masqat), eadad (٦٤) ٢٠١٩m/١٤٤٠h.
•alqiam walmutaghayirat al'iistiratijiatu, eabdal'iilah bilqiziza, majalat altafahum (wizarat al'awqaf walshuyuwn aldiyniat / saltanat euman masqat), eadad (٣٦), ٢٠١٢m/١٤٣٣h.
•alqimat al'akhlaqiati, du/ eadil aleawa, matbaeat jamieat dimashqa, ١٩٦٠m/ ١٣٧٩h.
•falsafat al'akhlaqi, du. mustafaa eabduhu, maktabat madbuli (alqahirati) tu٢ ١٩٩٩m.
•alfalsafa .. 'anwaeuha wamushkilatiha, hintar mid, tarjamatu: du. fuad zakaria, dar nahdat misr, ta١ ١٩٦٩m.
•alfalsafat wal'iinsani, ealii alshaami, dar al'iinsania (birut) ta١ ١٩٩١m.
•alfalsafat alyunania .. tarikhuha wamushkilatuha, 'amirat hilmi mutara, dar qaba' (alqahirati) ١٩٩٨m.
•falsaftina, muhamad baqir alsadra, dar altaearuf (birut) , ta١٥ ١٤١٠h/١٩٨٩m.
•lisan alearab li'abi alfadl jamal aldiyn abn manzuri, dar sadir (birut) ta٦ ٢٠٠٨m.
•madkhal 'iilaa al'adab altafaeuli, fatimat albiriki, almarkaz althaqafiu alearabia (aldaar albayda' almaghribi), ta١ ٢٠٠٦m.
•almadkhal 'iilaa eilam aldaewat limuhamad 'abu alfath albianuniu, muasasat alrisala (birut), ta٣ ١٩٩٥m/١٤١٥h.
•almadkhal 'iilaa alqiam al'iislamiati, da. jabir qumihata, dar alkitaab almisrii (alqahirati) / dar alkitab allubnanii (birut), ١٩٨٤m/ ١٤٠٤h.

•almurshid fi kitabat al'abhathi, hilmi muhamad fudih waeabdalrahman salih eabdallah, dar alshuruq lilnashr (jda) ١٩٩١mi/١٤١١h.
•almusnad lil'iimam 'ahmad bin hanbal, sharh watahqiqu: 'ahmad muhamad shakir wahamzat 'ahmad alzayni, dar alhadith (alqahirati), tu١ ١٤١٦h/١٩٩٥m.
•almuejam alshaamil lilmustalahat aleilmiat waldiyniati, 'iibrahim husayn srur, dar alhadi (birut lubnan) ta١ ٢٠٠٨m/ ١٤٢٩h.
•almuejam alshaamil limustalahat alfalsafati, da.eabdalmuneim alhafnii, maktabat madbuli (alqahirati) tu٣ ٢٠٠٠m.
•almuejam alfalisafi, da. jamil saliba, dar alkitab allubnanii (birut), ١٩٨٢m.
•almuejam alfalisafi, majmae allughat alearabiat alhayyat aleamat lishuyuwn almatabie al'amiria (alqahirati), ١٩٨٣m/١٤٠٣h.
•almuejam alfalsafii , du/ mustafaa habisat , dar 'usama (eman) ١٤٣٣h /٢٠١٢m.
•almuejam alwasiti, majmae allughat alearabia (alqahirati) tu٤ ٢٠٠٤m/ ١٤٢٥hi.
•mfid aleulum wamubid alhumumi, lijamal aldiyn 'abi bakr alkhawarazami, dar altaqadum (masir) ١٩٠٦m/ ١٣٢٣hi.
•muqawimat al'iislami, du. 'ahmad altayb, 'iisdar mulhaq bimajalat al'azhar alsharif, shawal ١٤٤٢h/ yunih ٢٠٢١m, ji١٠ alsanat ٩٤.
•almalal walnahl limuhamad bin eabdalkarim alshahristani, alnaashir muasasat alhalabii washarakah lilnashr waltawzie (alqahirati.(
•manahij albahth aleilmii fi alfikr al'iislamii walfikr alhadithi, talifi: du. eabdalfataah muhamad aleisawi du. eabdalrahman muhamad aleisawi, dar alraatib aljamieiat ١٩٩٦ ١٩٩٧m.
•almawsueat alearabiat alealamiatu, muasasat 'aemal almawsueat lilnashr waltawzie (alriyad) ta٢ ١٤١٩hi/ ١٩٩٩m.
•musueat alfalsafati, du/ eabdalrahman badwi, almuasasat alearabiat lildirasat walnashri(birut), tu١ ١٩٨٤m.
•musueat alfalsafat walfalasifati, da. eabdalmuneim alhafnii, maktabat madbuli (alqahirati) tu٣ ٢٠١٠m.
•almawsueat alfalsafiat , wade lajnatan min aleulama' wal'akadimiiyn alsuwfyatiiyn, tarjamata: samir karma, dar altaliea (bayrut lubnan) ta١ ١٩٧٤m.

•musueat kashaaf aistilahat alfunun waleulum limuhamad eali altahanwy, tahqiqu: da. eali dahruji, tarjamatu: di. eabdallah alkhalidi, maktabat lubnan nashirun (bayrut lubnan), ta١ ١٩٩٦m
.
•almawsueat almuyasarat fi al'adyan walmadhahib wal'ahzab almueasirati, 'aemal alnadwat alealamiat lilshabab al'iislamii, alnaashir: dar alnadwat alealamiat liltibaeat walnashr waltawzie (alriyad) ta٥ ١٤٢٤hi/ ٢٠٠٣m.
•almuataa lil'iimam malik bin 'ansa, tahqiqa/ muhamad fuaad eabd albaqaa, dar alhadith (alqahirati) tu٤ ١٤١٩hi/ ١٩٩٩m.
•alniqashat alfalsafiat alqarryt almueasirat hawl mas'alat mustaqbal al'iinsan wamas'alat alqiam fi easr althawrat albayw tiqniatu, muhamad alshaykha, majalat altafahum (wizarat al'awqaf walshuyuwn aldiyniat / saltanat euman masqat) eadad (٦٣) ٢٠١٩m/١٤٤٠h.
•almawsueat alhurat wikibidya.

فهرس الموضوعات

ملخص البحث :- ٣٢٤٧
مقدمة: ٣٢٥١
أهمية البحث: ٣٢٥٤
أسباب اختيار البحث: ٣٢٥٦
أهداف البحث: ٣٢٥٧
منهج البحث: ٣٢٥٨
خطة البحث: ٣٢٥٩
التمهيد ٣٢٦١
أولا: تعريف مفهوم (القيم الأخلاقية) ٣٢٦١
ثانيا: تعريف مفهوم (التفاعلية) ٣٢٦٥
ثالثا: حقيقة العلاقة التفاعلية بين الإنسان والكون ٣٢٦٧
المبحث الأول: مادية العلاقة التفاعلية بين الإنسان والكون وعلاقتها بالأخلاق في الفكر الغربي وأثر ذلك في الواقع المعاصر. ٣٢٦٩
المطلب الأول: مادية العلاقة التفاعلية بين الإنسان والكون في الفكر الغربي. ٣٢٦٩
المطلب الثاني: أثر مادية العلاقة التفاعلية بين الإنسان والكون في نزع القيم الأخلاقية من الدين في الفكر الغربي الحديث. ٣٢٨٢
المطلب الثالث: أثر اتجاهات الفكر الأخلاقي الغربي في الواقع المعاصر في ضوء مادية علاقته التفاعلية بالكون. ٣٢٩٦

المبحث الثاني: القيم الأخلاقية في ضوء العلاقة التفاعلية بين الإنسان والكون من منظور القرآن الكريم. ٣٣٠٤
مدخل: ٣٣٠٤
المطلب الثاني: أثر المنطلق الإيماني لمظاهر التفاعل الكوني في قصص القرآن الكريم وعلاقته بالقيم الأخلاقية..... ٣٣١٣
الخاتمة ٣٣١٩
ثَبْت المصادر والمراجع باللغة العربية..... ٣٣٢١
فهرس الموضوعات ٣٣٣١